غذاء العقـــل

مقالات في الدين والحياة

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

القاهرة
١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

غذاء العقـــل

مقالات في الدين والحياة

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك

وزير الأوقاف

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

القاهرة

١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

وبعد:

فهذه مجموعة من المقالات العصرية المتنوعة : دينيًّا ، وثقافيًّا ، وفكريًّا ، واجتماعيًّا ، ووطنيًّا ، آثرت أن أجعلها تحت عنوان : " غذاء العقل" ، للتأكيد على أهمية العقل والتفكير في ضبط حركة الأفراد والمجتمعات ، وأننا في تناولنا لقضايا الخطاب الديني والخطاب الثقافي لفي حاجة ملحة إلى مخاطبة العقل واستثارته للخروج من حالات الجمود والركود إلى حالات الحركة والتفكير والتدبر ، ذلك أن مشكلة كثير من العناصر التي تقع فريسة للجماعات والأفكار المتطرفة ، هي إما في إهمالها للتفكير العقلي والمنطقي

السليم ، وإما في تسليم عقولهم لشيوخ ومنظري الفكر المتطرف ، الذين يعدون كلام الأمير أو المرشد بالنسبة لهم قرآنا غير قابل للجدل أو النقاش ، بل إن أحدهم قد يقبل أن يناقش في فهم آية أو نص قرآني ولا يقبل أن تناقشه في كلام مرشده أو أميره ، بل إنه لا يكاد يعطي نفسه أو عقله أي فرصة لهذا النقاش ، أو حتى للتأمل أو المراجعة ولو فيما بينه وبين نفسه ، مما جعلني أفكر في اختيار هذا العنوان ، للتأكيد على أهمية إعمال العقل في كل ما يطرح علينا من رؤى وأفكار ، وقديمًا قالوا : لا تعرف الحق بالرجال ، ولكن اعرف الحق تعرف أهله ، وكان الإمام علي (رضي الله عنه) يقول :

إِذا المُشكِلاتُ تَصَدَّينَ لي
كَشَفتُ حَقائِقَها بِالنَظَر
وَلَستُ بِإِمَّعَةٍ في الرِجالِ
أُسائِلُ هَذا وَذا ما الخَبَر

ولما نزل قول الله تعالى : "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" (آل عمران : ١٩٠ – ١٩١) ، قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل فيها " ، وفي رواية : "وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا" .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل ،،،

أ.د / محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
عضو مجمع البحوث بالأزهر الشريف

الإسلام يتحدث عن نفسه

الإسلام قطعة ذهب لا تحتاج أكثر من أن نجلي ما علق بها أو ران عليها من بعض الغبار المتطاير أو حتى المتراكم ، لأن المعادن النفيسة لا تصدأ ولا يصيبها العطب مهما كانت عوامل الزمن وتداعياته وأحداثه وتراكماته .

فعلى الرغم مما أصاب صورة الإسلام من جرّاء الجماعات الإجرامية المتطرفة من أمثال داعش ، وبوكوحرام ، والقاعدة ، وجبهة الخذلان ، وأعداء بيت المقدس ، وجند الشيطان ، وجماعة دعم الخراب والدمار المسماة زورًا وبهتانًا وافتراء دعم الشرعية ، تلك الجماعات المأجورة لصالح قوى الشر ، على الرغم من ذلك كله فإن الإسلام بفضل أبنائه المخلصين وعلمائه المتخصصين قادر على محو آثار ذلك كله ، وأن يتحدث عن نفسه ، وأن يعبر عن حقيقته العظيمة السمحة الحضارية الإنسانية النقية ،

المتسقة مع فطرة الله التي فطر الناس عليها ، القائمة على أنه حيث تكون المصلحة فثمة شرع الله ، وعلى أنه دين الرحمة والأمن والأمان والسلام للعالم كله ، حيث يقول الحق سبحانه : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " (سورة الأنبياء :١٠٧) ، ولم يقل سبحانه : رحمة للمسلمين وحدهم، ولا للمؤمنين وحدهم ولا للموحدين وحدهم ، إنما للعالمين كل العالمين ، حيث كرم الله عز وجل الإنسان على إطلاق إنسانيته فقال سبحانه: " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " .

دين لا يعرف الأذى ، فالمسلم الحقيقي فيه هو من سلم الناس من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأعراضهم وأموالهم وأنفسهم ، ولما سئل نبينا (صلى الله عليه وسلم) عن امرأة صوامة قوامة غير أنها تؤذي جيرانها ، قال (صلى الله عليه وسلم) : "هي في النار" ، وهو القائل (صلى الله عليه وسلم) : "والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن" قالوا : من يا رسول الله ؟، فقال (صلى الله عليه

وسلم): "من لا يأمن جاره بوائقه"، ويقول (صلى الله عليه وسلم):"مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤذِ جَارَهُ" .

دين يحفظ للإنسان كرامته ، فينهى عن الغيبة ، والنميمة، والتحاسد ، والتباغض ، والاحتقار ، وسوء الظن لهو دين عظيم ، وذلك حيث يقول الحق سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ " (سورة الحجرات:١١-١٢)، وحيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ" .

دين يمنع الظلم والغش ، ولو مع أعدائه ، ويحرم سائر الممارسات الاحتكارية لهو دين عظيم ، وذلك حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ وَبَرِئَ اللَّهُ مِنْهُ، وَأَيُّمَا أَهْلِ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمُ امْرِؤٌ جَائِعٌ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ" ، وحيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : " لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ " .

ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " من غشنا فليس منا " ، وفي رواية "من غش أمتي فليس منا " ، وفي صحيح مسلم "من غش فليس منا " بحذف مفعول غش ليشمل كل ألوان الغش ، وينهى عن غش جميع البشر مسلمًا كان المغشوش أم غير مسلم ، إذ لا يليق بالمسلم بأن يكون غشاشًا.

دين يعمل على تحقيق الرحمة للإنسان والحيوان والجماد لهو دين عظيم ، وذلك حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ " ، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ (صلى الله عليه

وسلم) : " أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا ؟، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ " .

دين ينهى عن كل ألوان الفساد والإفساد والتدمير والتخريب ، ويعصم الأموال والأعراض والأنفس ، لهو دين عظيم ، وذلك حيث يقول الحق سبحانه : " وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا " (سورة الأعراف :٥٦) ، ويقول الحق : " وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ " (سورة هود :٨٥) ، وحيث يقول سبحانه : "وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ" (سورة البقرة :٢٠٤ – ٢٠٦) ، وحيث نهى نبينا (صلى الله عليه وسلم) سيدنا معاذ ابن جبل عن أي ظلم أو إجحاف بأموال المستضعفين أو أخذ كرائم أموالهم فقال له "يا معاذ : إِنَّكَ تَأْتِى قَوْمًا مِنْ

أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ ".

وأخيرًا نستطيع أن نقول: إن الإسلام قضية عادلة ودين عظيم وأنه وإن تعرض للهجوم من أعدائه فإن المخلصين من أبنائه قادرون بإذن الله (عز وجل) على تجلية الغبار عنه وعرضه عرضًا صحيحًا من خلال البلاغ الواضح المبين ، الفاهم لفقه المقاصد ، وفقه الواقع ، وفقه المتاح ، وفقه الأولويات ، فهمًا يؤهل صاحبه للوفاء بواجب هذا الدين العظيم بما يحمله لصالح الإنسانية جمعاء من سبل السعادة

والرقي وما يحمله لمن يعمل به من خير الدارين الدنيا والآخرة.

النص المقدس والفكر البشري

لا شك أن هناك اشتباكًا يجب أن يُفك ، والتباسًا ينبغي أن يُزال ، في حالتي التجاذب والتنافر أو المد والجزر الماثلتين بين بعض علماء الدين وبعض المثقفين، وإن كنت لا أرى لهذا التقابل وجهاً ، إذ ينبغي أن يكون العالم مثقفاً ، وأن يكون المثقف على قدر من الاتصال ومن الإلمام بالثقافة الدينية ولو في أساسياتها وقضاياها الكبرى ، ويمكن إزالة كثير من وجوه الالتباس إذا فرَّقنا جميعًا وبوضوح بين النص المقدس الثابت غير القابل للمساس به أو الافتراء عليه أو النيل منه ، وهو النص القرآني ، والنص النبوي الثابت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وبين التراث الفكري البشري الناشئ حول هذين النصين القرآني والنبوي ، المبني عليهما فهمًا أو تفسيرًا أو استنتاجًا أو تأويلاً ، مما يقبل الاجتهاد بضوابطه نظرًا لتغيُر الزمان والمكان والحال ،

فما أفتى به بعض العلماء في عصر ما وكان مناسبًا لزمانه ومكانه وبيئته قد لا يكون مناسبًا لزماننا وواقعنا ، فإن الأمر قد يتغير بتغير الزمان أو المكان أو الحال أو حتى حال المستفتي ، وقد ذكر الأصوليون أن الفتوى تتوارد عليها الجهات الأربع : الأزمنة والأمكنة والأحوال والأشخاص.

على أن هذا التراث الفكري الإنساني لا يمكن طرحه جملة ولا تطبيقه على واقعنا جملة ، إذ لا يمكن أن نطرح نتاج ما يزيد على أربعة عشر قرنًا من الزمان ، وننشئ حياة فكرية في الهواء الطلق ، بل إن واقع وإشكالية كثير من الجماعات المتطرفة أنها تسعى إلى طرح هذا التراث جملةً وإنشاء واقع فكرى جديد يتسق مع مغامراتهم الإرهابية وأفكارهم المتطرفة ، بدعوى أنهم رجال كما كان الآخرون رجالاً ، متناسين أو متجاهلين كل ما أصّلَه أهل العلم المعتبرون

المتخصصون من ضوابط الاجتهاد والفتوى وأصول العلم الشرعي .

على أن العلماء المستنيرين يؤكدون على ضرورة توفر ثلاثة ضوابط رئيسة لمن يتصدى للإفتاء:

أولها :- معرفة الحكم الشرعي من مصادره المعتبرة معرفة العالم المتقن المتخصص المجتهد.

ثانيها : - معرفة الواقع ، بحيث لا يكون العالم أو المفتي بمعزل عن معطيات عصره وضروراته وحاجاته مما لا غنى عنه لا للمفتي ولا للمستفتي .

ثالثها :- وهو الأهم أن يكون لديه رؤية وبصر ونظر بحيث يُنْزِل الحكم الشرعي المناسب على ما يناسبه من الواقع الذي يكون قد أَلَّم بجميع أطرافه ، فلا يُسْقِط الحكم على غير واقعه ، ولا يحكم على واقع لا يُلمُّ به ولا بملابساته العصرية .

فمثلاً أهل العلم جميعًا وبلا استثناء يُجمعون على

حرمة الربا ؛ لقوله تعالى : " وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا " (البقرة: ٢٧٥) ، لكن الأحكام التفصيلية المتعلقة بالربا، وإنزاله على أي لون من ألوان المعاملات العصرية تقتضى من المفتي أن يكون ملمًّا بأحكام جميع المعاملات في الفقه الإسلامي من مصادرها الشرعية الأصيلة، ما يدخل منها في باب الربا وما لا يدخل ، مُدركاً كل الإدراك للفروق الدقيقة بينها ، من بيع ، أو ربا، أو قرض ، أو سلم ، أو مخابرة ، أو مزارعة ، أو مساقاة ، أو مرابحة ، ملمًّا في الوقت ذاته بأنواع المعاملات العصرية وتفريعاتها وآليات عملها وضرورات العصر ، وما لا يستغنى عنه في حياة الناس ومعاملاتهم منها ، مفرقًا بين ما هو عام يعود بالنفع العام على جميع أفراد المجتمع ، وبين ما هو خاص مما يُسهم في صنع الطبقية ويزيد الغني غنى والفقير فقرًا ، ثم بعد ذلك كله يكون لديه من العلم والخبرة ، والبصر والبصيرة ، والدربة والتمرس ، ما

يسقط به الحكم الشرعي على ما يناسبه من الواقع ، أو يكيف الواقع في ضوء ما يقابله وينطبق عليه من الأحكام الشرعية لا ما ينطبق على غيره أو سواه ، ومن هنا كان عمل الأصوليين والفقهاء الدقيق غاية الدقة في تحديد شروط المجتهد وأحكام القياس والاستنباط وسائر الأدلة والقواعد الكلية سواء المتفق عليها أم المختلف فيها ، والتي يبنى عليها المجتهد اجتهاده ، مما يؤكد أن الأمر في حاجة إلى التخصص الدقيق، وأن الفتوى لا يمكن أن تكون كلأً مباحًا للهواة من يعلم ومن لا يعلم.

ولو أن كل إنسان تفرغ لما يتقنه وما يحسنه لكان التفاهم بيننا أشد ، ومساحات التلاقي بيننا أوسع، وقد قالوا: من انشغل بما لا يعنيه ضيع ما يجب أن يشغله ويعنيه.

الحــق والــواجــب

لا شـك أن مبـدأ الحـق والواجـب ، أو الحـق مقابـل الواجب ، أحد أهم المبادئ العادلة التي تسهم في إصلاح المجتمع ، فهناك الحقوق والواجبات المتبادلة بين الآباء والأبناء ، وبين الأزواج ، وبين الجيران ، وبين الأصدقاء ، وبين الشركاء ، وبين المواطن والدولة ، وبين العمال وأرباب العمل، وبين المعلم والمتعلم.

وقد أشارت بعض النصوص القرآنية والنبوية إلى هذه التبادلية ، وإلى ضرورة الوفاء بالحقوق والواجبات معًا ، حيث يقول الحق سبحانه في العلاقات بين الزوجين : " وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ " (البقرة : ٢٢٨) ، ويقول سبحانه في الحديث القدسي : " ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ

أَجْرَهُ "(رواه البخاري) ، وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) قَالَ: " كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلاَّ مُؤَخِّرَة الرَّحْلِ فَقَالَ: يَا مُعَاذُ بْن جَبَلٍ قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ . ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْن جَبَلٍ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةَ ، ثُمَّ قَالَ: (يَا مُعَاذُ بْن جَبَلٍ) ، قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: هَلْ تَدْرِى مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا). ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْن جَبَلٍ ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ: هَلْ تَدْرِى مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟. قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ" (متفق عليه).

وعن سيدنا علي (رضي الله عنه) أنه قال في خطبة له خطبها بصفين: " أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ اَللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلاَيَةِ أَمْرِكُمْ ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ اَلْحَقِّ مِثْلُ اَلَّذِي لِي

عَلَـيْكُمْ، وَاَلْحَـقُّ أَوْسَـعُ اَلْأَشْـيَاءِ فِـي اَلتَّوَاصُـفِ وَأَضْـيَقُهَا فِـي اَلتَّنَاصُفِ، لاَ يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلاَّ جَرَى عَلَيْهِ ، وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ إِلاَّ جَرَى لَهُ، وَلَوْ كَانَ لِأَحَـدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَـهُ وَلاَ يَجْـرِيَ عَلَيْـهِ لَكَـانَ ذَلِكَ خَالِصاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ ".

ورأي بعض الناس رجلا مسنًّا يزرع نخلة لا ينتظر أن يجني شيئًا من ثمارها في حياته ، فقيل له : وهل تنتظر أن تدرك جني شيء من ثمارها ؟ فقال الرجل : زرع من قبلنا فحصدنا ، ونحن نزرع ليحصد من بعدنا ، " افعل ما شئت كما تدين تدان" .

والقاعدة : أن من أخذ الأجر حاسبه الله على العمل ، وأن العقد شريعة المتعاقدين ، وقد أمرنا رب العزة بالوفاء بالعقود ، فقال سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ " (المائدة : ١) ، وحذرنا سبحانه من خيانة الأمانات في العمل أو في غيره ، فقال سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُـواْ لاَ تَخُونُـواْ اللّهَ وَالرَّسُـولَ وَتَخُونُـواْ أَمَانَـاتِكُمْ وَأَنـتُمْ تَعْلَمُـونَ " (الأنفال :

٢٧) ، وحثنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) على إتقان العمل ، فقال : " إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ" (مسند أبي يعلى) .

وديننا قائم على الإتقان ، والإحسان ، ومراقبة الله (عز وجل) في السر والعلن قبل مراقبة الخلق ، لأن الخلق إن غفلوا عن المراقبة أو المتابعة ، فهناك من لا يغفل ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حيث يقول سبحانه : " اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ " (البقرة : ٢٥٥) ، ويقول (عز وجل) " مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّـهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " (المجادلة : ٧) ، ويقول سبحانه : " وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ " (الأنعام : ٥٩) ، ويقول على لسان

لقمان (عليه السلام) مخاطبًا ولده " يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ " (لقمان : ١٦) .

فما أحوجنا إلى ترسيخ مبدأ الحق مقابل الواجب في كل مجالات حياتنا وعلاقاتنا ، وبخاصة في مجال العمل ، إذ لا يمكن للحياة ولا العلاقات أن تستقيم من جانب واحد ، فيكون أحد الشقين معتدلا والآخر مائلا ، إنما تستقيم الأمور باستواء الجانبين معا ، والوفاء بالحقوق والواجبات معا ، نؤدي الذي علينا حتى يبارك الله (عز وجل) في الذي لنا .

الخوف من اللّه

الخوف من الله (عز وجل) إذا تأصل في نفوس العباد وقاهم الله (عز وجل) به كثيرًا من الشرور والمفاسد والآثام ، ولو أننا خشينا الله (عز وجل) حق خشيته ، واستحيينا منه حق الحياء لكان حالنا غير الحال الذي نحن عليه من التصرفات والسلوكيات ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ" ، فالذي يخاف الله (عز وجل) لا يمكن أن يكون كذَّابًا ولا منافقًا ولا مرائيًا ولا مخادعًا ، ولا سارقًا ولا مختلسًا ، ولا عاقًّا ولا مدمنًا ، ولا قاتلاً ولا زانيًا ، ولا شارب خمر ، ولا آكلاً للحرام ، ولا مانعًا للخير ، ولا معطلاً لمسيرة الوطن ، ولا مفسدًا أو مخربًا ، ولا هدَّامًا ، ولا فاسقًا ، ولا فاحشًا ، ولا سبَّابًا ، ولا بذيئًا ، ولا متطاولاً على خلق الله ، وذلك لإدراكه التام أن الله (عز وجل) مراقب لحركاته وسكناته ، وأنه (سبحانه وتعالى) لا تأخذه سنة ولا

نوم : "مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " (المجادلة : ٧) ، وأنه (سبحانه وتعالى) قد يمهل ولكنه (عز وجل) لا يهمل أبدًا ، حيث يقول سبحانه : " وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ * وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ * وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ " (سورة إبراهيم :٤٢ – ٤٥) ، ويقول سبحانه : " فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ" (سورة إبراهيم :٤٧).

فمن يخاف من الله (عز وجل) يدرك أن كل جسد نبت

من سحت فالنار أولى به ، وأن المال الحرام سيكون هلاكًا ودمارًا لصاحبه في الدنيا والآخرة ، وأن آكله سيندم حيث لا ينفع الندم في الدنيا والآخرة ، حيث يقول الحق سبحانه : " أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ" (سورة البقرة : ٢٦٦) ، ويدرك أنه قد يتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالاً يهوى بها في النار بُعد الثريا، وأن الله (عز وجل) مراقب حركاته وسكناته ومحاسبه على كل لفظ أو كلمة ، حيث يقول الحق سبحانه: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " (سورة ق : ١٦-١٨).

وحيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " إِنَّ العَبْدَ

لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ " (صحيح البخاري) ، وعندما سأله سيدنا معاذ بن جبل (رضي الله عنه) : " يَا رسولَ الله وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟"(سنن الترمذي) ، ويدرك أن غدًا لناظره قريب ، وأنه إلى أحد سبيلين لا ثالث لهما : فريق في الجنة وفريق في السعير ، فإما إلى الذين شقوا ، فقد قال رب العزة (عز وجل) في شأنهم : " فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ " (سورة هود :١٠٧) ، وإما إلى الذين سعدوا ، وهم من قال الله (عز وجل) فيهم : " وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ " (سورة هود:

١٠٨) ، ويدرك أنه بالاستقامة على الجادة ينال خير الدارين مصداقًا لقوله تعالى : " أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" (سورة يونس : ٦٢-٦٤) ، ويقول سبحانه وتعالى: " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ" (سورة فصلت :٣٠-٣١).

وعلى الإنسان أن يعلم كما أن رحمة الله (عز وجل) واسعة مصداقًا لقوله تعالى : "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" سورة الأعراف (١٥٦) ، وقوله تعالى : " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " (سورة الزمر :٥٣) ،

فإن هناك أيضًا عذابًا أليمًا لمن تجاوز وتجبر وطغى ، حيث يقول سبحانه : " نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ "(سورة الحجر :٤٩) ، وحيث يقول سبحانه : " وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ " (سورة هود :١٠٢) ، وحيث يقول سبحانه : " يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ " (سورة الحج:٢).

مفتـــاح السعـــادة

لا شك أن السعادة قد يكون لها مفاتيح كثيرة ، حيث يراها بعض الناس متجسدة في نعمة الصحة ، وآخر في المال ، وثالث في الولد ، ورابع في الجاه والسلطان .

ومعروف أن الممنوع مرغوب ، فمن رزقه الله المال والولد وحتى الجاه والسلطان وابتلي في شيء من صحته لا يكاد يرى السعادة إلا في استعاضة ما أصيب به أو ابتلي فيه ، ومن رزقه الله الصحة والمال والجاه ولم يمن عليه بنعمة الولد لا يكاد يرى السعادة إلا في ولد يحمل اسمه ويحيي ذكره ، ومن رزقه الله الصحة والولد ولم يبسط له الرزق لا يكاد يرى السعادة إلا في سعة العيش ورغد الحياة والتمتع بملذاتها أو حتى في مجرد جمع المال وكنزه ، وقد صور أحدهم حال بعض الناس فقال :

صغير يطلب الكبـرا

وشيخ ودّ لو صغــرا

وخالٍ يشتهي عمــلا

وذو عمل به ضجــرا

ورب المال في تعب

وفي تعب من افتقـرا

وكأن هؤلاء وأولئك لم يدركوا أن الدنيا دار كد وشقاء وتعب ونصب ، وقد قال أحد العارفين : من طلب الراحة في الدنيا طلب ما لم يخلق ، ومات ولم يرزق ، لأن الله (عز وجل) يقول: " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ "(سورة البلد :٤).

وقد طلب قديمًا إلى مجموعة من الأدباء والكتاب والمفكرين أن يصفوا السعادة كل في مجاله وميدانه شعرًا أو نثرًا ، قصيدة أو رواية ، خطبة أو مقالة ، فذهب كل منهم في ذلك أي مذهب ، غير أن أحدهم اختصر الأمر في جملة واحدةٍ، هي مفتاح السعادة الحقيقية عندما قال :" السعادة هي الرضا بما قسم الله" وهو ما يؤكده حديث نبينا (صلى

الله عليه وسلم):" اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ " (سنن الترمذي) ، وقوله (صلى الله عليه وسلم):" قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَرُزِقَ كَفَافًا ، وقَنَّعَهُ الله بِمَا آتَاهُ " (رواه مسلم) .

ومن نماذج الرضا ما كان من سيدنا عروة بن الزبير (رضي الله عنهما) عندما خرج في سفر ، ففقد واحدًا من أعز أبنائه إليه وأصيب في هذه السفرة بداء في قدمه انتهى بقطع ساقها من منتصفها ، فماذا كان منه ، ما كان منه إلا ما وصفه القرآن الكريم بالصبر الجميل الذي لا جزع ولا سخط فيه ولا معه ، ما كان منه إلا أن قال : " اللهم إنك قد أعطيتني سبعة من الولد فأخذت واحدًا وأبقيت لي ستة ، ومنحتني أربعة أطراف فأخذت واحدًا وأبقيت لي ثلاثة ، فلئن أخذت لقد أبقيت ، ولأن ابتليت لقد عافيت ، فلك

الحمد على ما أخذت وابتليت ولك الحمد على ما عافيت وأبقيت ، ومرَّ أحدهم على رجل مقطوع اليدين مقطوع الرجلين ، وهو يقول حامدًا شاكرًا : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرًا من الخلق ، فقال له أحد الناس : من تراجع ومم عافاك الله ، فقال : يا هذا لقد عافاني من كثير وأعطاني أكثر ، الحمد لله الذي جعل لي لسانًا ذاكرًا وقلبًا خاشعًا وجسدًا على البلاء صابرًا " وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ " (إبراهيم: ٣٤) ، ويكفي هنا أن أشير إلى نوعين من الرضا : الأول هو الرضا بقضاء الله وقدره في المصاب في النفس أو المال أو الولد أو الأهل ، وهو يشير إلى عاقبة الصبر عليه في قول الله تعالى : " وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ " (البقرة : ١٥٤-

١٥٦) ، وقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فيقولونَ: نَعَمْ . فيقولُ : قَبَضْتُمْ ثَمَرَة فُؤَادِهِ ؟ فيقولونَ : نَعَمْ . فيقولُ : مَاذَا قَالَ عَبْدِي ؟ فيقولونَ : حَمدَكَ وَاسْتَرْجَعَ . فيقول اللهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا في الجَنَّةِ ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ " (رواه الترمذي) .

أما النوع الثاني من الرضا : فهو الرضا بما قسمه الله (عز وجل) من الرزق ، فإذا آمن الإنسان حق الإيمان بأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأنه لن تموت نفس حتى تستوفي أجلها ورزقها لاطمأنت نفسه ورضيت ، وفي هذا يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً في سربِهِ ، مُعَافَىً في جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا" (رواه الترمذي) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا

مَا كُتِبَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ" (سنن ابن ماجه) ، فما أجمل الرضا بما قسم الله وما أعظمه راحة الله ، وما أوسعه بابا للسعادة وما أرقاه من مفتاح عظيم لها ، مع تأكيدنا كل التأكيد أن الرضا بما قسم الله لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب والسعي في عمارة الكون ، وتحصيل أسباب الرزق، فشتان بين التوكل والتواكل ، وبين الفهم الصحيح والفهم السقيم ، وبين من يأخذ بالأسباب ويسلم بأمر النتائج ويعلم أن اختيار الله له خير من اختياره لنفسه ، ومن يتقاعس عن ذلك فالأول مطلوب ومحمود والآخر مرفوض ومذموم ، على أن السعادة العظمى التي لا مزيد عليها هي أن تنام وأنت هادئ النفس والبال ، وأن تلقى الله (عز وجل) وهو عنك راضٍ .

الأرض السبخة والأشجار المثمرة

الأرض السبخة هي تلك الأرض التي لا تنبت كلأ ولا تمسك زرعًا ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ " (رواه البخاري) ، فالذي لا ينفع الله به الناس هو كالأرض السبخة أو القيعان التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فخير الناس أنفعهم للناس ، وشرهم من تركه الناس واتقوه وتجنبوه اتقاء فحشه ، حيث يقول نبينا (صلى الله

عليه وسلم) : "إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ" (رواه البخاري) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ "(سنن ابن ماجه).

أما أهل الفضل والصفاء فهم من شرح الله صدورهم للإسلام ، وملأها بحب الخير ، فاصطفاهم لقضاء حوائج الخلق ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ لِلَّهِ عَبَّادًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ ، يُقِرُّهُمْ فِيهَا مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ " ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ ، يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ ، أُولَئِكَ الْآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ، هؤلاء هم الأشجار المثمرة ، اليانعة النافعة ، غير أن هذا الإثمار قد يعرضهم لحسد الآخرين أو أحقادهم أو محاولة تعويقهم ،

ممن قصرت همهم ، وشغلوا بالصغائر عن العظائم ، وبهدم الآخرين عن بناء أنفسهم ، وقد قالوا : ولا يقذف بالأحجار إلا الشجرة المثمرة ولا يقذفها إلا الصبية ، أما الرجال فيستحون ، ولا يحوم اللص إلا حول البيوت العامرة ، فإن حام حول البيت الخرب كان سيد البلهاء ، غير أن رمي الصبية أو قذفهم لا يزيد الوطنيين المخلصين إلا صلابة ، فالضربة التي لا تقصم الظهر تقويه ، ولله در الشافعي حيث يقول :

عـــــدَاي لهــم فضل علي ومنة
فلا أبعد الرحمن عنّي الأعــاديا
هــم بصروني عن زلتي فاجتنبتها
وهم سابقوني فاكتسبت المعــاليا

ويقـــــول أبو الأسود الدؤلي :

حَسَدوا الفَتى إِذ لَم يَنالوا سَعيهُ
فَالقَـــــــومُ أَعداءٌ لَهُ وَخُصومُ
كَضَـــرائِرِ الحَسناءِ قُلنَ لِوَجهِها

حَســـداً وَبَغيـــاً إِنَّـــــهُ لَدَميمُ

فالعاقل من ينشغل بالبناء لا بالهدم ، ولا يقابل السيئة بالسيئة ، بل يعفو ويصفح ، ويدفع بالتي هي أحسن ، حيث يقول الحق سبحانه : " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ " (فصلت : ٣٤-٣٥)، نسأل الله أن نكون منهم وأن نتحلى بأخلاقهم وأن نحشر في زمرتهم .

نقد الفكر الإنساني

لا شك أننا نقف في عالمنا المعاصر بثقافاته المتعددة بين مدارس فكرية وعلمية وفلسفية متعددة ، بعضها يقدس القديم لمجرد قدمه فحسب ، سواء أكان داخلا في باب المقدس ، أم غير داخل فيه ، حتى في الفكر والأدب والإبداع ، فهو يؤثر كل قديم على كل حديث ، على شاكلة ما رواه ابن قتيبة وغيره من أن أحد الشعراء أنشد الأصمعي أبياتًا ، فقال له الأصمعي : إن هذا لهو الديباج الخسرواني أي الشعر الجيد الذي يمتدح ويشاد به ، ثم استرسل الأصمعي: لمن تنشدني ، فأجاب الشاعر : بأنهما من شعره أنشدهما لليلته ، وهنا غيّر الأصمعي رأيه على الفور ، قائلاً : إن أثر التكلف عليهما لبيّن واضح ، وما ذاك إلا لعصبيته للقديم دون سواه بغض النظر عن الجودة أو عدمها.

وهو ما تصدى له كثير من علمائنا : كُتَّابًا ومفكرين وفلاسفة

بالنقد والتفنيد ، مؤكدين أن الله (عز وجل) لم يؤثر بالعلم، ولا بالفقه ، ولا بالاجتهاد ، ولا بالشعر ، ولا بالإبداع ، قوما دون قوم أو زمانًا دون زمان ، أو مكانا دون مكانٍ ، ولذا فإنهم لا يقدمون القديم لمجرد قدمه ، ولا يبخسون الحديث أو المعاصر حقه لمجرد حداثته أو معاصرته ، إنما الميزان عندهم منطقي موضوعي ، وهو ألا ننظر إلى من قال وإنما إلى ما قال ، فالحكم على العمل لا على صاحبه ، وعلى النص لا على القائل ، وعلى الإبداع لا على المبدع ، ولكل جواد كبوة ، ولكل عالم زلة ، ولكل مبدع سقطة أو هفوة ، والكمال لله وحده ، والعصمة لأنبيائه ورسله .

وفي المقابل ثمة فريق آخر أسرف في حداثته وإطلاق العنان للعقل البشري حتى ذهب إلى رفع القداسة عن المقدس ، وإنزال النصوص المقدسة منزلة النصوص البشرية القابلة للنقد والتفنيد.

ويذهب البعض وبخاصة في الجماعات المتطرفة إلى

إنزال شيوخهم وأمرائهم ومرشديهم منزلة القرآن الكريم أو أشد منزلة جهلاً وحمقًا ، فأكثر شباب الجماعات المتطرفة كلام مرشده فوق كل اعتبار ، وهو المقدس الذي لا يرد ، ولا مجال للتفكير أو إعمال العقل فيه ، على أن أحدهم قد يجادلك في فهمك للنص القرآني إن تناقض مع شيء من كلام شيخه أو مما دُسَّ له عبر كتبهم ومحاضراتهم وتفسيراتهم وتأويلاتهم ، ولا يسمح لك أن تناقضه أو تناقشه في كلام شيخه المقدس لديه ، فقضية تأليه البشر أو تقديسهم أو رفعهم إلى درجة المهديين المنتظرين أمر في غاية الخطورة على التفكير المنطقي السليم .

على أننا نفرق تفريقًا واضحًا لا لبس فيه بين إنزال الناس منازلهم وإكرام العلماء وبين تقديس البشر أو محاولة تقديسهم أو إضفاء هالة من التقديس عليهم ، تصور نقد كلامهم على أنه نقد للإسلام وطعن في فهم صحيح الكتاب والسنة ، مع أن كل البشر بعد المعصوم (صلى الله عليه وسلم)

يؤخـذ مـنهم ويـرد علـيهم في ضـوء أدب الحـوار ومراعـاة أصوله، ولذا نؤكد دائما أن مؤسساتنا الدينية ليست مؤسسات كهنوتيـة ولا ينبغـي أن تكـون أو تقـترب مـن ذلـك ، كمـا أنهـا ليست محاكم تفتيش ، فمهمتها البيان لا الحساب .

وأكاد أجزم أن ضعف التكوين العقلي والفكري والثقافي لدى بعض شبابنا يعد طامة كبرى ، وأن ضيق الأفـق الثقـافي ومحدوديته وربما انغلاقه وانسداده قد ينحرف بالمتحدث أو الكاتب إلى معالجة خاطئة لبعض القضايا ، أو ينجرف بـه إلى الصدام مع المتلقي مشاهدًا كان أو سـامعًا أو قارئًـا ، كمـا أنـه قد ينجرف بالمتلقي إلى التسليم المطلق والاسـتلام الأعمـى لمـن يأخـذ بزمـام عقلـه مـن شـيوخ الجماعـات الضـالة أو الإرهابية أو المنحرفة.

غير أن الذي ينبغي التأكيد عليه هو أننا في حاجـة ماسـة إلى منـاهج علميـة وتعليميـة وتربويـة تخـرج بنـا مـن منـاط التلقـي والـتلقين والتقليـد إلى منـاط الـتفكير والمشـاركة

والإبداع والنقد ، وأن تصبح فكرة تقبل النقد والقدرة على سماعه واستيعابه والتعامل معه دون عصبية أو انفعال مسلكًا ومنهجًا حياتيًّا ، بحيث نفيد جميعًا من النقد البناء .

أما أن يقتحم مجال التوجيه أو النقد من لا يمتلك لا الخبرة ولا الحاسة ولا أدوات الصناعة والفن أو مؤهلات التوجيه والنقد ، فتلك الطامة الكبرى التي تؤخر ولا تقدم ، وتفسد ولا تصلح .

كما يجب التحلي بالإخلاص والتجرد والبعد عن الأهواء وتصفية الحسابات ، فإن الوقوع في آفات الهوى والميل وعدم الإنصاف طامة كبرى يجب الترفع عنها ، وذلك أن بعض النفوس المريضة لا تعرف سوى الهدم طريقا، على حد ما قرره الإمام علي بن عبد العزيز الجرجاني في مقدمة كتابه " الوساطة بين المتنبي وخصومه " حيث ذكر أن أهل النقص فريقان ، فريق يعمل على جبر نقيصته وستر عورته ، وهذا أمر حسن لأنه قد شغل بأمر نفسه ويعمل على

إصلاح حاله وشأنه ، أما الفريق الآخر من أهل النقص فقد قعد به عن الكمال عجزه أو اختياره ، أي ضعفه أو كسله ، فلم يجد شيئا أجبر لنقصه وأستر لعورته من انتقاص الأماجد وحسد الأفاضل ، ظنًا أن ذلك قد يجرهم إلى مثل نقيصته أو ينزل بهم إلى مستوى درجته .

ما أحوجنا مرة أخرى إلى التوازن في حياتنا بين دراسة العلوم التطبيقية والبحثية ودراسة علوم النفس والاجتماع والفلسفة والآداب والتاريخ والحضارة والعمران .

ما أحوجنا إلى التخلص من تقديس الذات إلى نقدها ، من الذاتية إلى الموضوعية ، من تضخم الأنا إلى الاعتراف بالآخر وتقديره واستيعابه والتعامل والتعاون معه ، ما أحوجنا إلى أن نسمع لا أن نحرص فقط على أن نُسْمَع أو نُسمِعَ ، فإذا كان للإنسان أذنان ولسان واحد ، فينبغي أن يكون سماعه أكثر من كلامه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :

" مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ " (رواه البخاري).

وأخيرًا نؤكد بأنه لا يصح إلا الصحيح ولا بقاء إلا للأصلح، حيث يقول الحق سبحانه : " فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ" (الرعد :١٧) .

حقيقة الشكر

الشكر نعمة من نعم الله (عز وجل) من وفقه الله إليها استشعر أن كل شكر إنما هو نعمة تحتاج إلى شكر جديد .

والشكر سبيل دوام النعم وزيادتها ، يقول الحق سبحانه : " وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ" (سورة إبراهيم :٧)، ويقول سبحانه : " وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ " (سورة النمل :٤٠) ، ويقول سبحانه : " إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ" (سورة الزمر :٧)، ويقول سبحانه : " لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آَيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا

الْكَفُورَ " (سورة سبإ :١٥) .

والكفر والجحود سبيل زوال النعم ، يقول الحق سبحانه في شأن أصحاب الجنة الذين جحدوا حق الله فيما أنعم به عليهم وتعاهدوا على منع حق الفقراء المساكين ، يقول في سورة القلم: " إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ " (سورة القلم: ١٧-٢٠)، ويقول سبحانه : "وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ" (سورة التوبة:٧٥ -٧٧).

وضرب القرآن لنا مثلاً بارزًا بصاحب إحدى الجنتين في سورة الكهف فقال سبحانه : " وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ

رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا" (سورة الكهف : ٣٥-٤١) .

على أن الشكر ليس مجرد عمل قلبي أو لساني أو تقبيل لظاهر اليد وباطنها أو السجود سجدة شكر عند حدوث النعمة فحسب ، إنما هو سلوك وعمل ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى في سورة سبأ : " اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ" (سبأ: ١٣) .

على أن شكر النعمة يكون من جنسها ومن غير جنسها قولا وعملا ، فشكر نعمة العلم هو تعليمها للناس والأمانة في هذا التعليم والاجتهاد فيه ، وشكر نعمة المال يكون بتحري

الحلال فيه ، وإنفاقه في سبل الخير ، وشكر نعمة الحكم وتولي المسئولية الأمانة والعدل والتفاني في خدمة الناس ، وشكر نعمة الجاه استخدامه في خدمة الناس وخدمة الوطن، وشكر نعمة القلم والكتابة هو استخدامها في الخير وصيانتهما عن الشطط والزلل .

كما أن الشكر لا يكون على نعمة المال فحسب ، إنما يكون على سائر النعم ، فالمال نعمة ، والصحة نعمة من أعظم النعم ، والأبناء نعمة ، والزوجة الصالحة نعمة ، والصديق الوفي نعمة ، والخلق الحسن نعمة ، وراحة البال من أكبر النعم وأجلها ، والرضا بما قسم الله من أجمل النعم وأكثرها راحة للنفس ، والجار الكريم نعمة ، والمواهب نعم ، وصدق الله (عز وجل) إذ يقول : "وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا" ، وكان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يقول للسيدة عائشة (رضي الله عنها) : " يَا عَائِشَةُ أَحْسِنِي جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّهَا قَلَّ مَا نَفَرَتْ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ فَكَادَتْ أَنْ تَرْجِعَ

إِلَيْهِمْ".

كما نؤكد أن من أجلِّ النعم التي تستحق الشكر هي نعمة الأمن التي تستحق أعلى درجات الشكر ، حيث يقول سبحانه : " لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ" (سورة قريش) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا في سربِهِ ، مُعَافَىً في جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا " (سنن الترمذي).

كما نؤكد أن من شكر الله شكر من أجرى الله النعمة على يديه أو جعله سببًا فيها ، ففي الحديث النبوي : " لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ" ، وفي الحديث القدسي: " عبدي لم تشكرني، إذا لم تشكر من أجريت النعمة على يديه"، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا

أنكم قد كافأتموه" ، وكان سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) يقول : ثَلَاثُ آيَاتٍ نَزَلَتْ مَقْرُونَةً بِثَلَاثِ آيَاتٍ لَا تُقْبَل وَاحِدَةٌ مِنْهَا بِغَيْرِ قَرِينَتِهَا ، أَوَّلُهَا : " وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ " ، فمن أقام الصلاة ومنع الزكاة فما أدى حق الله عليه ، وَالثَّانِي قَوْله تَعَالَى: " أن اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ" ، فمن شكر الله (عز وجل) ولم يشكر والديه لم يكن شاكرًا حقيقيًّا لله (عز وجل) ، وَالثَّالِثُ قَوْله تَعَالَى: "وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ" ، فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَلَمْ يُطِعْ الرَّسُولَ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ .

وإذا أردنا أن نتحدث عن شكر الوطن ورد جميله فإن ذلك يتطلب منا أن نعمل على بنائه وأن نجتهد في ذلك ، وأن نشجع المنتج الوطني ، وأن ندعمه وأن نعطيه الأولوية بيعًا وشراء وتفضيلاً ، وأن نشجع الاستثمار ، وأن نرشد الاستهلاك ، وأن نقف في وجه المخربين ودعاة الهدم ، وأن نشكر الله (عز وجل) على ما أنعم به علينا من أمن واستقرار ،

سائلين الله (عز وجل) أن يديم على مصر أمنها وأمانها وسلامها.

تعظيم ثواب الصدقة

لا شك أن المتصدق إنما يرجو عظيم الثواب الذي أعده الله للمتصدقين والمتصدقات ، حيث يقول سبحانه : "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً " (سورة الأحزاب :٣٥) ، وحيث يقول سبحانه : " مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ" (سورة البقرة : ٢٦١-٢٦٢) ، وحيث يقول سبحانه : " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ

وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (سورة التوبة : ١٠٣) ، وحيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :" مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ"(صحيح البخاري) ، وحيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : " حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ " (المعجم الأوسط للطبراني).

وعلى المتصدق أن يتحرى وقوع الصدقة موقعها الذي يجب أن تكون فيه ، حيث يقول الحق سبحانه :" إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ "(سورة التوبة:٦٠) ، وعليه إن أراد أفضل الثواب وأعلاه أن يجتهد في ترتيب الأولويات ، وأن يدرك أن الأعم نفعًا والأوسع أثرًا مقدم على غيره من الأقل

نفعًا أو أثرًا ، وأن ما يحفظ النفس مقدم على ما يدخل في إطار التحسينيات أو الكماليات ، فإطعام الجائع ، وكساء العاري ، ومداواة المريض ، وإيواء المشرد ، مقدم على مالا يعد أساسًا في إقامة حياة الإنسان وحفظها وحفظ كرامته في العيش والحياة.

وإذا أردت عظيم الصدقة فضعها حيث تكون حاجة المجتمع ، فإن رأيت الحاجة أمس إلى المتطلبات الصحية فضعها في علاج المرضى وبناء المستشفيات وتجهيزها ، وإن رأيت الأولوية للتعليم فضعها في بناء المدارس وتأثيثها وصيانتها والإنفاق على طلاب العلم الفقراء ورعايتهم ، وعلى الباحثين وبعثاتهم ، وعلى المراكز والمؤسسات العلمية وتطويرها ، وإن رأيت الأولوية لتحسين البنى التحتية من إقامة محطات مياه الشرب أو مشاريع الصرف الصحي أو تعبيد الطرق وتمهيدها فاجعل صدقتك في هذا الاتجاه ،

وإن رأيت الأولوية للعمل والإنتاج فادعم المشروعات الصغيرة وتوفير فرص العمل للشباب ، وإن رأيت الأولوية لعمارة المساجد وصيانتها فاعمد إلى المناطق الأكثر احتياجًا إليها ، حيث يكون الناس في حاجة ملحة إلى مسجد ، سواء في منطقة جديدة كقرى الشباب والظهير الصحراوي والمناطق الجديدة ، أو اعمد إلى مسجد من المساجد القائمة التي تحتاج إلى إحلال وتجديد كلي أو جزئي أو صيانة فقم بإحلاله وتجديده أو صيانته أو فرشه ، على أن ترجع في كل شأن تعمل فيه إلى الجهة المختصة التي تستطيع أن تحدد لك الأولويات وأن تدلك على الأعم نفعًا ، لأن الثواب العظيم مرتبط بالقبول وعظيم النفع ، فكلما سدت الصدقة حاجة من حوائج أصحاب الحاجات كانت أكثر نفعا وأعظم ثوابًا ، وكلما كانت الحاجة أشد كان الثواب أعظم ، ومن ثمة على الإنسان أن يتحرى أين يضع صدقته ، حتى يحظى بأعظم الثواب وأعلاه ، كما أن عليه أن يتحرى

ألا يقع فريسة للمحتالين والنصابين ممن يحترفون التسول ، لأن إعطاء من لا يستحق من الصدقات يضيعها على من يستحق من جهة ، ويشجع على مزيد من احتراف التسول والبطالة والكسل من جهة أخرى ، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) يقول :" إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ : لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ" ، مع حرصك الشديد على التبرع للجهات والمصادر الموثوقة، وأن يكون تبرعك مقابل إيصال رسمي معتمد من جهة رسمية أو في حساب رسمي مفتوح في أحد البنوك .

وأخيرًا تأكد أن ما تنفقه اليوم ستجده غدًا ، حيث يقول الحق سبحانه : " وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ " (سورة البقرة :٢٧٢)، ويقول سبحانه : " وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ " (سورة سبإ : ٣٩)، وحيث يقول نبينا :" مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ "، وحيث

يقول (صلى الله عليه وسلم): " ما مِن يومٍ يُصْبحُ العِبادُ فيهِ إلا مَلَكانِ يَنزلانِ ، فيقولُ أحَدُهُما : اللهمَّ أعط مُنفِقاً خَلَفًا ، ويقولُ الآخَرُ: اللهمَّ أعطِ مُمْسِكاً تَلَفاً"(صحيح البخاري).

أدب الحياة الخاصة

الإسلام دين الفطرة السليمة ، حيث يقول الحق سبحانه: " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ " (الروم :٣٠) .

ولا شك أن الإسلام قائم على كل ما ينمي الذوق ، ويرسخ القيم الإنسانية السوية ، ويسهم في تكوين الرقي الشخصي والمجتمعي ، وينشر القيم الحضارية ، ويؤدي إلى تأصيلها وتجذيرها في نفوس الناس جميعًا .

ولا شك أن للمرء من حياته ما تعود ، فإذا ما تعود الإنسان على التحضر والرقي فيما بينه وبين نفسه صار ذلك سمة وسجية وطبعًا له فيما بينه وبين الناس ، أما إذا حافظ الإنسان على مظاهر التحضر أمام الناس وخالف ذلك فيما بينه وبين نفسه دخل في باب النفاق النفسي والاجتماعي

وما يعرف بانفصام الشخصية ، وربما خانه طبعه وما تعوده من مخالفة الذوق والرقي في خلوته فبدا ظاهرًا جليًا عفويًا ولو بدون قصد فيما بينه وبين الناس .

ومن هنا كان حرص الإسلام على تعليم الإنسان القيم الراقية وتعويده عليها منذ نعومة أظافره سواء فيما بينه وبين نفسه أم فيما بينه وبين الناس ، وهذا نبينا (صلى الله عليه وسلم) عندما يرى صبيًّا تطيش يده في إناء الطعام ، فيعلمه ويوجهه بما يهذب ذوقه وطبعه ، فيقول (صلى الله عليه وسلم) : " يَا غُلَامُ ، سَمِّ اللَّهَ ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ " (صحيح البخاري) ، سواء أكان ذلك فيما بينه وبين نفسه أم حال مشاركته الناس طعامهم ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " أَغْلِقُوا الْبَابَ ، وَأَوْكِئُوا السِّقَاءَ ، وَأَكْفِئُوا الْإِنَاءَ ، أَوْ خَمِّرُوا الْإِنَاءَ ، وَأَطْفِئُوا الْمِصْبَاحَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ غَلَقًا ، وَلَا يَحِلُّ وِكَاءً ، وَلَا يَكْشِفُ آنِيَةً "(سنن الترمذي).

على أن في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (وَأَطْفِئُوا الْمِصْبَاحَ) ما يشير إشارة واضحة إلى ضرورة ترشيد الطاقة ، وقد نهى (صلى الله عليه وسلم) عن الإسراف سرًّا وعلنًا ، خلوًّا أو مجتمعًا ، مما يؤصل في نفس الإنسان ثقافة الترشيد والبعد عن الإسراف والتبذير .

هذا وقد نجد بعض الناس هاشًّا باشًّا بين الناس بحيث يغبطه من لا يعرف حقيقته ، فإذا ما عاد إلى أهل بيته لبس ثوبًا آخر وجلدًا آخر وبدا بوجه آخر يتناقض تماما مع ما يعرف به بين الناس من البشاشة وطلاقة الوجه ، بحيث يقف القاعد ويسكت الناطق من أبنائه وأهل بيته خوفًا لا أدبًا.

مع تأكيدنا أن الإنسان إذا هذب ما بينه وبين نفسه وسيطر عليها طواعية ، مراقبة لله (عز وجل) واحترامًا لذاته كان أكثر سيطرة عليها وأملك لزمامها بين الناس وفي المناسبات العامة، أما إذا كان غير ذلك فالطبع يغلب التطبع ، وليس

الجمال كالتجمل ، مما قد يكشف حقيقته ويعرضه لمواقف محرجة فيما لا يحب أحد أن يحرج فيه .

أشخاص لا يعرفون الهدم وآخرون لا يعرفون البناء

شتان بين النقيضين البناء والهدم ، وإذا كان ديننا إنما هو دين البناء وعمارة الكون ، فإن كل من يأخذك إلى هذا الطريق ، طريق البناء ، طريق العمل ، طريق الإنتاج ، طريق الإتقان ، طريق الحفاظ على المنشآت العامة والخاصة إنما يأخذك إلى طريق الإسلام ، إلى طريق الوطنية ، إلى طريق الحضارة والرقي ، إلى خير المجتمع وخير الإنسانية ، ومن يحاول أن يجرك إلى طريق آخر عكس هذا الاتجاه ، كأن يجرك أو يسلمك إلى طريق الهدم والتخريب وتدمير المنشآت والبنى التحتية أو الاعتداء عليها أو المساس بها إنما يأخذك إلى طريق الهلاك في الدنيا والآخرة ، يقول الحق سبحانه : " فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى

أَبْصَارَهُمْ * أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " (محمد : ٢٢-٢٤) ، ويقول سبحانه : "وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ " (البقرة : ٢٠٤-٢٠٦) .

على أن من يعمل بالبناء فلن يكون لديه فائض وقت أو جهد للهدم أو التخريب ، لأنه يدرك طبيعة البناء وما يتطلبه من جهد ومعاناة ، وأن الباني لا يمكن أن يكون هدامًا ، لأنه صاحب نفس ملأى بالخير والعمار والحضارة والرقي .

أما الهدامون أصحاب النفوس المريضة الذين قصرت بهم هممهم عن أن يجاروا أهل الجد والكفاح والتعب والعرق والعمل والإنتاج ، فلم يجدوا جبرًا لنقيصتهم وسترًا لعورتهم وشفاء لإحساسهم بالنقص سوى حسد الأماجد

وانتقاص الأفاضل ، على حد قول القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني في مقدمة كتابه " الوساطة بين المتنبي وخصومه" وأهل النقص رجلان : رجل أتاه التقصير من قبله، وقعد به عن الكمال اختياره ، فهو يساهم الفضلاء بطبعه ، ويحنو على الفضل بقدر سهمه ، وآخر رأى النقص ممتزجًا بخلقته ، ومؤتّلا في تركيب فطرته ، فاستشعر اليأس من زواله، وقصرت به الهمة عن انتقاله ، فلجأ إلى حسد الأفاضل ، واستغاث بانتقاص الأماثل ، يرى أن أبلغ الأمور في جبر نقيصته ، وستر ما كشفه العجز عن عورته ، اجتذابُهم إلى مشاركته ، ووسمُهم بمثل سِمَتِه ".

هؤلاء الهدامون خطر داهم على المجتمع ، وعلى أمنه الاجتماعي والاقتصادي ، يقول الشاعر :

لو كل بان خلفه هادم كفى
فكيف ببان خلفه ألف هادم

ويقول الآخر :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه

إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

على أن ديننا إنما ينبذ كل ألوان ومعاني الهدم والتخريب ، ويدعو إلى البناء وعمارة الكون ، وكل ما فيه صالح الإنسانية ، يقول سبحانه : " وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ " (الأعراف : ٥٦) ، ويقول سبحانه : " فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ "(الأعراف :٧٠) ، مما يتطلب منا جميعًا العمل على نشر ثقافة البناء ، والعمل على ترسيخ الإيمان به وأن ما كان للإنسان فلن يخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الناس جميعًا لو سابقوا إنسانا فلن يأخذوا شيئا كتبه الله له ولن يصلوا إليه ، ولو دفعوه إلى الأمام جميعًا ، فلن يوصلوه إلا إلى شيء كتبه الله له ، يقول سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ

اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ إِلَّا قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ " (رواه الترمذي) ، فما أحوجنا إلى تطهير قلوبنا من الحقد والحسد والعمل على تعطيل الآخرين أو تعويق مسيرتهم أو محاولات إفشالهم ، فليس كل ذلك ولا شيء منه من الإيمان أو كريم الأخلاق أو القيم الإنسانية النبيلة ، إنما على العكس من ذلك كله ، فهو حقد يأكل صاحبه على حد قول أبي تمام :

اصبر على مضض الحسود
فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها
إن لم تجد ما تأكله

فلنصدق النية والعمل لله عز وجل ، ثم لوطننا ومجتمعنا ، وأبنائنا وأحفادنا وأنفسنا ، ذلك أن الواجب الشرعي

والوطني يتطلبان منا جميعًا وحدة الصف وتضافر الجهود لخدمة ديننا ووطننا وقضايانا العادلة ، وألا يعوق أحد منا مسيرة الآخر ، بل يشد بعضنا أزر بعض ، فالعمل العمل ، لأنه صمام الأمان ، وحذارِ حذارِ من الهدم والتخريب ، فهما سبيل الدمار والهلاك في الدنيا والآخرة .

دعاة الإحباط ودعاة الأمل

سئم الناس ثقافة الإحباط والاكتئاب ، وحُق لهم ، إذ إن هذه الثقافة المرة مرارة الحنظل إنما تنضح من أوان صدئة، ونفوس مظلمة ، تنظر بعيون سوداء ، ولا ترى من الكوب سوى نصفه الفارغ ، أو جانبه الصدئ ، فتريد أن تضفى سوادها على الكون ، وأن تحمّله أوجاعها ومآسيها عنتًا وكرها ، على نحو ما تمثلت به ليلى بنت طريف في رثائها أخيها مالك ، عندما توجهت إلى شجر الخابور الوارف الظلال المسجى بالخضرة فأرادته قحطًا قاحلاً يابسًا جافًّا ، فقالت :

فيا شجر الخابورِ مالكَ مورقا
كأنك لم تحزنْ على ابن طريف

وكما قال الشاعر إيليا أبو ماضي :

والذي نفسه بغير جمال

لا يـرى في الوجود شيئا جميـلا
إنّ شرّ الجناة فـي الأرض نفـسٌ
تتوقّــى، قبل الرّحيـلِ ، الرّحيلا
وترى الشّوكَ في الورود ، وتعمى
أن ترى فوقهـا النّــدى إكليـــلا

أو كما قال الشاعر البائس عبد الحميد الديب :

إنَّ حظـي كدقيق فوق شـوكٍ نثـروه
ثم قالـوا لحفاةٍ يـوم ريـحٍ اجمعـــوه
صعـب الأمر عليهم ثم قالـوا اتركـوه
إنَّ من أشقاه ربى كيف أنتم تسعدوه

لقد عدّ العلماء اليأس والتيئيس والإحباط والتحبيط من الكبائر ، ودعانا ديننا السمح أن نيسر ولا نعسر ونبشر ولا ننفر ، فقال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا ، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا "، ويقول إيليا أبو ماضي في دعوة سمحة للتفاؤل:

قــال السمـــاء كئيبـــة ! وتجهمـــا

قلت: ابتسم يكفي التجهم في السما!
قـال: الليالـــي جرعتنـــي علقمــا
قلت: ابتسم و لئن جرعــت العلقمــا
فلعـــــل غيـــــرك إن رآك مرنمـــــا
طــرح الكآبـــة جانبـــا و ترنمـــــا

فما بال هؤلاء الذين ملئت قلوبهم بالحقد والسواد ، فلا يرون إلا قتامًا ؛ وكأنهم لم يقفوا على سعة رحمة الله وما فتحه لعباده من أبواب الأمل في الدنيا والآخرة ، حيث يقول سبحانه: " مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " (فاطر : ٢)، ويقول سبحانه: " وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " (الأعراف : ٩٦) ، وقوله تعالى : " وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ " (يوسف: ٨٧) ، وقوله تعالى: " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا

عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " (الزمر : ٥٣).

على أننا نؤكد أنه على الرغم من محاولات التيئيس التي يعمل أعداؤنا على فرضها علينا ، لنصل إلى أنه لا أمل ، فإن هناك جهودًا كبيرة تبذل في مجالات بث الأمل ، مع تأكيدنا أنه حال عمل أهل الحق بصدق وإخلاص فإن الباطل زاهق ومنسحق لا محالة ، حيث يقول الحق سبحانه: " بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ " (الأنبياء: ١٨) ، ويقول سبحانه : "وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " (الشورى : ٢٤) ، ذلك أن شجرة الباطل قد تعلو وترتفع غير أن جذورها تظل هشة لا تثبت أمام الرياح أو الزمن ، أما شجرة الحق فراسخة رسوخ الجبال ، حيث يقول الحق سبحانه : " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ

الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ " (إبراهيم : ٢٥-٢٧).

اليتيم بين كافله وجاحده

اليتيم مشتق من اليتم ، وهو الفقد ، ولفظ اليتيم في ذاته يوحي بالضعف ويستوجب الشفقة والرحمة ، فإذا اجتمع على الإنسان يتم ، وفقر ، أو حرمان ، فتلك فاجعة كبرى ، أما إذا اجتمع عليه يتم وفقر وتجاهل مجتمع فتلك ثالثة الأسافي كما كانت العرب تقول في جاهليتها ، وكفالة اليتيم تأمين له وللمجتمع معًا ، تأمين له من التشرد والانحراف ، وتأمين للمجتمع من عواقب هذا التشرد ، كما أنه تأمين لكل شخص يخشى أن تباغته المنية وله ذرية ضعفاء يخشى عليهم الضياع أو الفقر أو الفاقة ، فكما تدين المجتمع يدين لك ، يقول الحق سبحانه : " وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً " (النساء :٩) ، ويوصي بإكرامهم والإحسان إليهم ، فيقول سبحانه : " وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى

وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا" (النساء:٨)، ويقول سبحانه : " وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً " (النساء : ٣٦) ، ويأمر سبحانه ولي أمر اليتيم والوصي عليه بدفع حقه إليه بمجرد أن يأنس فيه الرشد وينهي عن الاقتراب من ماله إسرافًا أو تعجلا قبل بلوغهم ، فيقول سبحانه : " وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيبًا "(النساء :٦)، ثم يصور الحق سبحانه من يأكل مال اليتيم بصورة من يأكل نارًا فتحرق أمعاءه ، فيقول الحق سبحانه : " إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا " (النساء :١٠) ، بل إن القرآن الكريم يحذرنا من تجاهل شأن اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين ، ويجمع بين هؤلاء وبين من يأكلون الميراث والمال بغير حق فيقول تعالي : " كَلا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمّاً * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً * كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً * وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ* وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ * يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً *فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي " (الفجر : ١٧-٣٠) ، كما يحذرنا الحق سبحانه من قهر اليتيم ونهر المسكين فيقول سبحانه : " فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ *وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ " (الضحى : ٩-١١) ، فما بالكم وما ظنكم إذا كان اليتيم مسكينًا ذا فاقة وعوز وحاجة .

ألم يجعل الحق سبحانه إطعام اليتيم أحد أهم عوامل اجتياز الصراط بسهولة ويسر فقال سبحانه : " فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ " (البلد: ١١-١٥) .

أما على الجانب الآخر ، جانب من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ، ونور الله قلبه بالإيمان وملأه بالرحمة والإحسان ، فصار مفتاحًا لكل خير ، اصطفاه الله مع من اصطفاهم واختارهم لقضاء حوائج الناس ومسح دموعهم، وإدخال السرور عليهم ، فدخل تحت قول الحبيب محمد (صلى الله عليه وسلم) : " أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الجنة هكذا " (صحيح البخاري) ، وأشار (صلى الله عليه وسلم) بأصبعيه السبابة والوسطى" كناية عن قرب كافل اليتيم من الحبيب (صلى الله عليه وسلم) ، يوم القيامة .

ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ

الْخَدَّيْنِ كَهَاتَيْنِ، امْرَأَةٌ تَأَيَّمَتْ مِنْ زَوْجِهَا ، وَحَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى يَتَامَاهَا حَتَّى بَانُوا أَوْ مَاتُوا " ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُفْتَحُ لَهُ بَابُ الْجَنَّةِ ، إِلاَّ أَنَّهُ تَأْتِي امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي فَأَقُولُ لَهَا : مَا لَكِ ؟ وَمَا أَنْتِ ؟ فَتَقُولُ : أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ عَلَى أَيْتَامٍ لِي" (مسند أبي يعلى) ، وفي الحديث "من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة " (المعجم الكبير للطبراني).

فما أحوجنا إلى تنمية الحس الإنساني ، والتكافل الاجتماعي ، والرحمة بالفقراء والضعفاء والأيتام والمساكين ، وألا يخطر ببالنا أنهم عالة علينا ، إنما هم سر العون والرحمة والبركة ، يقول نبينا : (صلى الله عليه وسلم) " وهل تُرْزَقُون وتُنْصرون إلا بضعفائكم؟ !" (رواه البخاري) .

فائض الوقت وفاقده

الوقت قيمة هامة غالية ثمينة نفيسة لا يدرك قدرها كثير من الناس ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ " (صحيح البخاري) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " لَا تَزُولُ قَدمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عَلِمهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟" (المعجم الكبير للطبراني)، فما من يوم إلا وينادى : يا ابن آدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمني فإن غابت شمسي لن تدركني إلى يوم القيامة .

ولأهمية الزمن أقسم به الحق سبحانه وتعالى في مواضع عديدة ، وأشار إليه في مواضع أخرى من كتابه العزيز ، حيث يقسم سبحانه وتعالى بالفجر الذي أفرد له الحق

سبحانه وتعالى سورة سماها باسمه ، فقال : " وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ" (الفجر :١-٣) ، ويقسم بالضحى ويفرد له أيضا سورة سماها باسمه فيقول : "وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى" (الضحى :١-٤) ، وأقسم سبحانه وتعالى بالعصر وأفرد له سورة باسمه في كتابه العزيز هي سورة العصر ، فقال سبحانه :" وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" (العصر:١-٣) ، ويقسم سبحانه وتعالى بالصبح فيقول : "وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ * إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ" (المدثر : ٣٤-٣٧) ، ويقسم بالليل وبالنهار فيقول سبحانه: "وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى " (الليل:١- ٧) فتسمية أربع سور بأسماء أوقات : الفجر ،

والضحى ، والعصر ، والليل ، لهو أكبر دليل على أهمية الزمن .

إضافة إلى إشارات متعددة تربط بعض الأحداث أو الأعمال بالزمن كقوله تعالى: " أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا " (الإسراء : ٧٨) ، وقوله تعالى في شأن أصحاب الكهف : " وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا" (الكهف : ٢٥) ، وقوله تعالى : "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ "(البقرة : ١٨٥) ، وقوله تعالى: "وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ "(البقرة : ٢٣٣) ، وقوله سبحانه "وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا " (البقرة: ٢٣٤) ، وقوله سبحانه : " وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ

إِخْرَاجٍ" (البقرة: ٢٤٠) ، وقوله سبحانه : " لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ" (البقرة : ٢٢٦) .

على أن الناس في تعاملهم مع الوقت فريقان : الأول يسرقه الوقت فإن لم يسرقه الوقت حاول هو قتل الوقت ؛ لأنه في فراغ قاتل ممل ، لا هو في أمر دينه ولا في أمر دنياه ، حيث يقول ابن مسعود (رضي الله عنه) : إني لأكره أن أرى الرجل فارغًا ، لا في عمل الدنيا ، ولا في عمل الآخرة.

أما الفريق الآخر فليس لديه فاقد من الوقت ولا فائض ، لأنه منظم يحسن استغلال وقته والاستفادة بكل جزء فيه ، لا يدرك قيمة ثوانيه فحسب ، إنما يدرك قيمة ما يعرف بالفيمتو ثانية ، ويعمل على استغلال كل ذرة زمن ، مدركًا أن النشاط يولد النشاط ، والكسل يولد الكسل ، وأن القليل إلى القليل كثير ، وأن حياة الإنسان إنما هي عبارة عن مجموعة من الوحدات الزمنية التي تشكل في مجملها وتراكيبها حياته

كلها ، وقد قال الشاعر :

دقات قلب المرء قائلة له

إن الحياة دقائق وثـــوان

وقد كان ذلك قبل أن يقف الناس على تجزئة الثواني إلى وحدات زمنية أخرى .

على أن عمر الإنسان هو ما ينتجه أو يخلفه من تراث معرفي ، أو فكري ، أو إنتاج علمي ، نظري أو تطبيقي وكل ما يقدمه لخدمة البشرية ، بغض النظر عن مدى الزمن الذي يعيشه ، وقد قال الشاعر:

عُمرُ الفتى ذكرُهُ لا طولُ مُدّتِهِ

فالبركة في العمر لا تكون بطول العمر فحسب ، إنما هي مقدار ما ينتجه أو يقدمه المرء في هذا العمر لخدمة دينه أو دنياه أو دنيا الناس ، فخير الناس من طال عمره وحسن عمله ، وشر الناس من طال عمره وساء عمله ، وخير الناس أنفعهم للناس.

الإيمان والمؤمنون

الإيمان كما عرفه حبيبنا محمد (صلى الله عليه وسلم) في حديث جبريل (عليه السلام) ، عندما سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الإيمان ، فأجابه (صلى الله عليه وسلم) بقوله : " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ "(صحيح مسلم).

والإيمان بالله (عز وجل) يقتضي أن تؤمن بأنه واحد أحد " لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ " ، وأنه هو الخالق القابض الباسط المعز المذل ، " إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " (يس :٨٢).

وأن تدرك إدراكا لا يخالجه أي شك بأن الأمر كله لله ، و" أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ

وَجَفَّتِ الصُّحُفُ " (سنن الترمذي).

ثم إن للإيمان وللمؤمنين صفات وعلامات ، من أهمها :

١- ما ذكره الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في قوله تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ " (الأنفال: ٢-٤)، فالمؤمن تقي نقي يألف ويؤلف ليس بفظ ولا فاحش ولا غليظ، خاشع لله ، مخبت إليه ، حيث يقول الحق سبحانه : " أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ "(الحديد: ١٦)، وحيث يقول (عزّ وجل) : " فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ"(الزمر:٢٢)، مما يؤكد أن الظواهر التي تميل إلى القسوة والعنف والتطرف والإرهاب وسفك الدماء والتنكيل بالبشر لا علاقة لها بالإيمان ولا

بالأديان ، بل إن القرآن الكريم قد نص على ذلك صراحة في قوله تعالى: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً" (الفرقان: ٦٣-٦٤)، ثم يقول سبحانه : "وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً" (الفرقان: ٦٨-٦٩).

٢- أن المؤمن إنما هو مصدر أمن وأمان ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم" (سنن الترمذي) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ" قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ ، قِيلَ: وَمَا بَوَائِقُهُ ؟ قَالَ : شَرُّهُ" (مسند أحمد)،ويقول (صلى الله عليه

وسلم) : "ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم" (المعجم الكبير للطبراني).

فالإيمان يربي صاحبه على الكف عن الأذى وعلى حب الخير للآخرين والإحساس بهم والعمل على إسعادهم ، فإذا كان الإيمان خيرًا كله ، فينبغي أن يكون المؤمن خيِّرًا يتحرك على الأرض لنفع الناس ، لا لأذاهم أو الاستعلاء عليهم أو الإضرار بهم .

ومع تخلي المؤمن عما لا يليق بإيمانه ، فإنه يتحلى بصفات عديدة فصّلها القرآن الكريم في مواضع متعددة ، ولعل من أبرزها ما افتتحت به سورة "المؤمنون" ، حيث يقول الحق سبحانه : " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ

وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (سورة المؤمنون : ١- ١١.

ومن هذه الصفات التفصيلية نقف عند صفتين اثنتين مراعاة لما يقتضيه مقام المقال :

أ- الصفة الأولى التي تصدرت صفات المؤمنين في سورة "المؤمنون" ، وهو قوله تعالى : " الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ " فالمؤمن قلبه معلق بالمساجد ، وهو في المسجد كالسمك في الماء ، أما المنافق في المسجد فهو كالعصفور في القفص ، وعندما تحدث النبي (صلى الله عليه وسلم) عن السبعة الذين يظلهم الله (عز وجل) في ظله يوم لا ظل إلا ظله كان من بينهم : "رجل قلبه معلق بالمساجد" ينتظر الصلاة بعد الصلاة ، خاشع في صلاته ، مطمئن في ركوعه وسجوده ، لا تشغله الدنيا وما فيها عن أداء ما افترضه الله عليه " .

ب- في قوله تعالى: " وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ " فالإيمان ، والأمن ، والأمان ، والأمانة ألفاظ ترجع في أصل اشتقاقها إلى مادة لغوية واحدة : هي مادة: (أَمِنَ) ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) في ربط واضح بين الأمانة والإيمان : " لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ " (مسند أحمد) .

فأداء الأمانة والوفاء بالعهد ، هو أحد أهم جوانب التطبيق العملي لمفهوم الإيمان ، ونلاحظ أن النص القرآني هنا لم يذكر مجرد أداء الأمانة أو الوفاء بالعهد ، إنما تحدث عن رعاية ذلك وتعهده والعناية به كما يتعهد الوالد ولده أو الزارع زرعه ، حيث يقول الحق سبحانه : "إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ" (النساء: ٥٨)، ويقول سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ " (المائدة : ١)، ويقول سبحانه : "وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً "

(الإسراء: ٣٤) ، فالقيم والأخلاق هي التطبيق العملي لمفهوم الإيمان والدليل على رسوخه وتمكنه من نفس صاحبه.

خطورة الصمت على المتطفلين

لا شك أننا في عصر التخصص الدقيق في جميع المجالات العلمية ، والفكرية ، والثقافية ، ولم يعد هذا الزمن محتملا لاقتحام المتطفلين من غير المتخصصين لعالم غير عالمهم ومهن غير مهنتهم ، حيث أصبحت بعض المهن مهنة من لا مهنة له ، ومجال من لا مجال له.

وإذا أردنا أن نضع الأمور في نصابها ، فلا بد من إعلان دولة القانون وقيمة القانون ، وأن تقوم كل جهة بواجبها تجاه الدخلاء وغير المتخصصين الذين يقحمون بدون حق أنفسهم على أعمالها.

ولابد أن تعيد جميع المؤسسات والجهات والهيئات النظر في عقوبات المخالفين ، وبخاصة الدخلاء الذين يعملون خارج إطار القانون بدون رخصة أو بمخالفة لقواعد

الرخصة وضوابطها ، وأن يكون هناك تقنين لممارسة جميع الأعمال والمهن ، بحيث لا يسمح بمزاولة أي مهنة إلا لمن يحمل تصريحاً للعمل بها.

لقد عانى المجتمع معاناة شديدة ممن ينتحلون صفة غير صفتهم ، كما أن أصحاب المهن الأصلية يتأثرون سلبًا باقتحام آخرين عالمهم دون ترخيص أو أحقية لهم في العمل ، فشتان بين مصنع يعمل في إطار القانون يؤدي حق الدولة من ضرائب وتراخيص ، وحق العمال من أجور وتأمينات ، ويخضع لمراقبة الجهات الرقابية المختصة ، وبين آخر يعمل بلا رخصة وبلا أي التزامات أو ضمانات تجاه المستخدمين لما ينتجه ، والذي لا شك فيه أيضًا أن هذه المصانع التي تعمل خارج القانون قد تكون سببًا في تعثر أو توقف من يلتزم بالعمل خارج إطار القانون ، من حيث الأعباء والالتزامات المترتبة على الأول والتي يتحلل منها الثاني ، مما يتطلب عملا سريعًا يقنن أوضاع من يستحق

التقنين ، واتخاذ إجراءات حاسمة وسريعة تجاه المخالفين والمتجاوزين .

أما فيما يتصل بالخطاب الفكري والثقافي وبخاصة الديني فإنه قد عانى لعقود طويلة من اختطافه من بعض الجماعات التي حاولت توظيفه لأغراض سياسية أو سلطوية، وعملت على استقطاب الشباب والناشئة من خلال العاطفة الدينية القوية لديهم حتى انحرفوا بهم ، بل انجرفوا ببعضهم في أتون التشدد والتطرف والإرهاب ، ومن هنا كان حرصنا إصدار قانون ينظم ممارسة الخطابة والدروس الدينية بالمساجد وما في حكمها ، بقصر ذلك على المؤهلين المتخصصين من خريجي الأزهر الشريف المصرح لهم بأداء الخطب والدروس ، مع تأكيدنا أن بروز كلا النقيضين : التشدد والتطرف والغلو من جهة ، والدعوات التي تتجه في اتجاه التسيب والانحلال والتطاول على الثوابت من المقدسات من جهة أخرى ، إنما يرجع أول ما يرجع إلى

خطاب غير المؤهلين وغير المتخصصين الذين يقحمون أنفسهم فيما لا قبل لهم به ، وفي مجال ليسوا له بأهل ، يظنونه كلأ مباحًا ، وما هو كذلك ، فأجرأ الناس حتى على الفتوى أجرؤهم على الناس ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا " (رواه البخاري) " على أن الصمت على هؤلاء الدخلاء أو غير المؤهلين أو غير المتخصصين المقتحمين غير مجالهم أو اختصاصهم ، إنما يكاد يعطيهم مع الصمت وتطاول الزمن ما يشبه الحق المكتسب من وجهة نظرهم ، مما يضر بهم ، وبالمتخصصين ، وبالمجتمع ، مما يتطلب منا جميعًا احترام التخصص ، واحترام القانون وتطبيقه على الجميع وبلا أي استثناءات أو امتيازات لأي شخص أو فئة أو حزب أو طائفة،

إعلاء شأن العلم والتخصص من جهة ، واحترام ما للقانون والتزاما به من جهة أخرى .

حبس الحقـــــوق

لاشك أن الإسلام أعطى كل إنسان حقه ، وكل وارث حقه ، وكل ذي حق حقه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) في خطبته الجامعة في حجة الوداع : " إِنَّ اللَّهَ عز وجل قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، أَلاَ لاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ" (سنن ابن ماجه)، وقد أعطى العالم حقه ، والكبير حقه ، والصغير حقه ، والمرأة حقها ، والأجير حقه ، واليتيم حقه ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا " (سنن الترمذي) وفي رواية: " لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ " (مسند أحمد) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " قَالَ اللَّهُ: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ " (صحيح البخاري) ، وقد قالوا : أعط الأجير حقه قبل أن

يجف عرقه ، وقد نهى الإسلام عن أكل أموال اليتامى ظلما فقال سبحانه : "وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيرًا" (سورة النساء :٢) ويقول الحق سبحانه : " إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا " (سورة النساء :١٠) ، ويقول سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا " (سورة النساء :٢٩) .

وحد لذلك حدودًا وبخاصة في المواريث ، وجعل الاعتداء على حق الإنسان في الميراث اعتداء على حدود الله ، يقول الله (عز وجل) في ختام الحديث عن آيات المواريث في سورة النساء: " تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ " (النساء:١٣- ١٤).

غير أننا ابتلينا ببعض من لا يتقون الله في حقوق الناس ، فيحبسونها عن أصحابها وبخاصة الضعفاء، بحجة الحفاظ عليها أو تنميتها ، وأضرب لذلك مثالين:

الأول : من يحبس حق المرأة في الميراث بحجة الحفاظ عليه ، أو يحبس حق اليتيم بحجة الحفاظ عليه أيضا ، فهم كما قال الشاعر :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والمـــاء فوق ظهورها محمول

وفي ذلك نسمع ونقرأ قصصًا عجيبة وغريبة ، عن تعامل بعض أولياء اليتيم أو اليتيمة ، أو بعض الإخوة أو الأهل الذين يقبضون على كامل التركة بحجة عدم تفرقتها ، ولا يعطون بعض النساء حقوقهن مع حاجتهن الملحة إلى ما شرعه الله (عز وجل) لهن من نصيب جعله مفروضًا ، فقال

سبحانه: " لِّلرِّجَالِ نَصيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً " (سورة النساء :٣٢).

وأعجب من هذا حال بعض الجمعيات التي تقوم على رعاية الأيتام ، فتجمع المال لأجلهم، وبدل أن تفي بحاجاتهم الآنية العاجلة من مطعم أو ملبس أو كسوة ونحو ذلك ممالا غنى عنه لهم ، أو الإنفاق على تعليمهم أو مداواتهم ونحو ذلك ، تذهب إلى استثمار هذه الأموال ، ثم تستثمر عائد الاستثمار ولا تصرف منه إلا فتاتًا ، فرحة بتعلية الأرصدة مؤكدة أنها لصالح اليتيم يوما ما ، على أن هذا اليتيم قد يصيبه ما يصيبه من الألم والحسرة والحرمان قبل أن يأتي هذا اليوم الذي ينعم فيه بالمال الذي جمع لأجله ، وإذا كان القرآن الكريم قد نعى على أهل الجاهلية عدم إكرام اليتيم ، وعدم حضهم على طعام المسكين ، فقال سبحانه : " أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ

الْيَتِيمَ * وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ" (سورة الماعون : ١- ٣)، وقال سبحانه : " كَلا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا * كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ" (سورة الفجر :١٧-٢٦).

فما ظنكم بمن يحبس حق المرأة أو حق اليتيم أو حق الأجير ، فيحبس الحقوق عن أصحابها المستحقين لها ، وهو ليس عليهم بوكيل ، إنما هو مؤتمن ، وعلى المؤتمن أن يسرع في أداء الأمانة التي ائتمنه عليها الله (عز وجل) ، يقول الحق سبحانه في شأن اليتامى : " فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ

بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيبًا " (سورة النساء :٦).

الدماء التي لا تجف

لم يؤكد الإسلام على حرمة شيء تأكيده على حرمة الدماء وضرورة عصمتها ، فقد استهل نبينا (صلى الله عليه وسلم) خطبته الجامعة في حجة الوداع بقوله (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا – أَوْ ضُلَّالًا – يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ" (رواه مسلم) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " لَا يَزَالُ الْمَرْءُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا" (المستدرك على الصحيحين) ، وعن عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ ، وَيَقُولُ : "مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً

مِنْكِ، مَالِهِ وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا" (سنن ابن ماجه) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ " (رواه ابن ماجه) ، وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أن النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : "مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا" (رواهُ البخاري) .

وقد نهى الإسلام عن قتل النفس عمدًا ، أو خطئًا ، أو تسرعًا ، فقال الحق سبحانه في كتابه العزيز : " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا" (النساء : ٩٢) .

أما القتل العمد فقد رتب عليه الإسلام ما رتب من

الوعيد الشديد ، فقال الحق سبحانه : "وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا" (النساء : ٩٣) .

كما نهى الإسلام عن التسرع في القتل أو الإسراع إليه أو الخفة فيه ، وضرورة التثبت حتى في الحرب ، فقال سبحانه : "وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا" (النساء : ٩٤) ، ولما قتل أسامة بن زيد أحد المشركين في ساحة القتال بعد أن قال الرجل : لا إله إلا الله ، قال له النبي (صلى الله عليه وسلم) : " كيف لك بلا إله إلا الله يا أسامة ؟ فقال أسامة بن زيد : يا رسول الله قالها والسيف على عنقه ، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) : "هلا شققت عن قلبه يا أسامة ".

وحتى وليّ الدم نُهي عن الإسراف في القتل ، فقال

الحق سبحانه : " وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا" (الإسراء : ٣٣) ، ويقول سبحانه : " وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ" (النحل: ١٢٦) .

وردعًا لمن تسول له نفسه الإقدام على الدم الحرام شرع الإسلام القصاص ، فقال سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (البقرة : ١٧٨) ، وجعل النفس بالنفس، والعين بالعين ، والسن بالسن ، فقال سبحانه : "وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " (المائدة : ٤٥).

فلا الدين ، ولا الإنسانية ، ولا الأخلاق ، ولا القيم ، ولا الأعراف ، ولا المواثيق الدولية ، ولا القوانين سماوية كانت أم وضعية أم عرفية ، تبيح قتل النفس ، أو إزهاقها ، أو الاعتداء عليها .

غير أننا أمام ظواهر شاذة تستحق وقفة متأنية ودراسات علمية ونفسية وأيدلوجية لهذه الوحشية التي أصابت بعض المنتمين إلى بني الإنسان تجاه الإنسان نفسه ، فلم تعد له هذه الحرمة التي عرفها الطير قبل الإنسان على نحو ما قص علينا القرآن الكريم من شأن الغراب مع أخيه الغراب ليعطي درسًا إنسانيًا لبني البشر جميعًا ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى في سورة المائدة في قصة ابني آدم : " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آَدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ

بِـإِثْمِي وَإِثْمِـكَ فَتَكُـونَ مِـنْ أَصْـحَابِ النَّـارِ وَذَلِـكَ جَـزَاءُ الظَّـالِمِينَ * فَطَوَّعَـتْ لَـهُ نَفْسُـهُ قَتْـلَ أَخِيـهِ فَقَتَلَـهُ فَأَصْبَحَ مِـنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَـثُ فِـي الْأَرْضِ لِيُرِيَـهُ كَيْـفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ " (المائدة : ٢٧-٣١) .

إذن فما الذي أصاب الإنسانية من هذه الجرأة السافرة على الدماء ، والإقدام على القتل ، بل الذبح ، والحرق ، والتمثيل والتنكيل البشري ؟! إنه لخطر كبير على مسيرة الإنسانية وأخلاقها ما لم يسرع الحكماء والعقلاء لكبح جماح هذا الانفلات المقيت.

الشمس التي لا تغيب

الشمس لا تغيب ، لكنها قد تحجب عنا إما بطبيعة دوران الأرض حول نفسها ، أو بفعل الغيم والسحب التي قد تحول بيننا وبين رؤيتها ، أو بما يصيب بعض الأعين المريضة من اعتلال يحول بين أصحابها وبين ضوء الشمس الساطع ، على حد قول الشاعر :

قد تنكرُ العينُ ضوء الشمسِ من رمدٍ
ويُنْكِرُ الفَمُّ طَعْــمَ الماء منْ سَقَـــم

وبينما كنت في رحلة إلى أسيوط لحضور مؤتمر فرع جامعة الأزهر بأسيوط عن "فهم التراث وأثره في مواجهة الانحراف الفكري" ، وكان الجو غائمًا لم يُرَ في صباحه الباكر ضوء الشمس لغيم كان يحجبه ، فما أن ارتفعت الطائرة فوق السحاب حتى لفت فضيلة المفتي أ.د/شوقي علام نظري إلى سطوع الشمس فوق السحاب ، ودار بيننا

نقاش فكري وعلمي وثقافي ، حول أن الحقائق الساطعة قد تحجب لغيم يحجبها ، أو لأن قصور الرؤية لا يدركها أو لا يريد أن يدركها ، غير أن هذا السطوع الحقيقي للشمس وللحقائق الناصعة لا يمكن أن ينكر أو يجحد ، فالشمس قد تحجب عن الأبصار العليلة لكنها لا تغيب ، فالحقائق لا يمكن أن يحجبها غيم الأبصار أو مرض القلوب ، على حد قول المتنبي :

وهَبْني قُلتُ :هذا الصّبْحُ لَيْلٌ
أَيَعْمَى العالمُونَ عَنِ الضّياءِ؟

لقد دار حديثي مع فضيلة المفتي حول تلك الإنجازات والمشروعات العملاقة ، انطلاقًا من قناة السويس الجديدة إلى افتتاح شرق قناة بورسعيد ، مرورًا باستصلاح المليون ونصف المليون فدان ، وشبكة الطرق الطموحة العملاقة ، ومشروعات الإسكان والبنية التحتية ، وبخاصة في مجالات الكهرباء والطاقة المتجددة من الشمس والرياح ، ومشروع

محطة الضبعة النووية العملاق ، ومشروعات المياه والصرف الصحي ، إضافة إلى المشروعات الاقتصادية الكبرى ، كمشروع تطوير محور قناة السويس ، والعاصمة الجديدة ، والساحل الشمالي ومطروح ، إلى إنشاء وإعداد وتطوير العديد من الموانئ والمطارات ، أضف إلى ذلك استكمال خارطة الطريق السياسية بانتخابات برلمانية حرة ونزيهة وشفافة جاءت معبرة عن الإرادة الحقيقية للناخبين ، وهو ما شهد به القاصي والداني ، والعدو قبل الصديق .

هذا إضافة إلى صمود الدولة في مواجهة الإرهاب والتحديات الخارجية التي مزقت العديد من الدول حولنا ، غير أن صمود الدولة المصرية بكل أركانها العسكرية والمدنية في ظل قيادة حكيمة للسيد الرئيس / عبد الفتاح السيسي قد أضج مضاجع أعدائنا المتربصين بنا وشتت كيانهم وأربك حساباتهم .

إن مصر بخير ، وستظل بإذن الله تعالى بخير ، ولن تغيب

عنها الشمس ، وسيرد الله (عز وجل) كيد المتربصين بها في نحورهم ، غير أننا في حاجة إلى مزيد من اللُّحْمَة ، وأن نكون بحق وصدق يدًا واحدة من أجل الحفاظ على بلدنا في معركة البقاء ، والنهوض بها في رحلة البناء ، وأن نتحصن بمزيد من العلم والبحث والمعرفة وتأهيل الشباب ، وإعطائهم الفرصة في الإسهام الحقيقي في بناء مجتمعهم والحفاظ عليه ، أضف إلى ذلك حاجتنا إلى مزيد من الأمل ، وألا نفت في عضد المصريين ، أو نقلل من قدراتهم على بناء دولتهم الحديثة ، أو نجرهم إلى مضمار اليأس القاتل .

علينا جميعًا أن نثق أولاً في الله (عز وجل) وأنه كما لم يضيعنا في الماضي لن يضيعنا في المستقبل ، فإنه (عز وجل) سيحوطنا برعايته وعنايته ، ألم يقل نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندًا كثيرًا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض" ، ثم إن علينا أن نثق في قدراتنا على البناء والتعمير ، والتقدم إلى مصاف الأمم

المتقدمة ، وأن ندرك أن علينا في سبيل ذلك أن نصطف اصطفافًا وطنيًّا حقيقيًّا في مواجهة الإرهاب الذي يعد أكبر عائق ومعوق للبناء والتنمية ، وهو ما يتطلب منا خطابًا دينيًّا وفكريًّا وثقافيًّا رشيدًا مستنيرًا .

سلوك وسلوك

لا شكَّ أن سلوك الشخص يعكس مدى ثقافته ، ومدى أخلاقه ، ومدى تربيته ، ومدى حضارته ، وكذلك سلوك الأمم والشعوب يعكس مدى قيمها وتحضرها ، بل إن سلوك الشخص يعكس مدى إيمانه بوطنه ، وإيمانه بربه ، لأنه لو راقب الله (عز وجل) حق المراقبة لانضبط سلوكه وتصرفه ، وقد قال أحد المفكرين الحكماء : من الصعب بل ربما كان من المستبعد أو المستحيل أن نجعل لكل إنسان جنديًّا أو شرطيًّا أو حارسًا يحرسه ، وحتى لو جعلنا لكل شخص حارسًا أو جنديًّا أو شرطيًّا يحرسه فإن الحارس أيضًا قد يحتاج إلى من يحرسه ، والمُراقب قد يحتاج إلى من يُراقبه ، ولكن من السهل أن نُربي في كل إنسان ضميرًا حيًّا ينبض بالحق ويدفع إليه ، راقبناه أم لم نراقبه ، لأنه يُراقَب ممن لا تأخذه سنة ولا نوم ، حيث يقول الحق سبحانه

وتعالى: " اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ الْحَـيُّ الْقَيُّـومُ لاَ تَأْخُـذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ " (سورة البقرة:٢٥٥)، وحيث يقول (عز وجل) : "وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ " (سورة الأنعام :٥٩)، ويقول سبحانه على لسان لقمان عليه السلام في وصيته لابنه : " يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ " (لقمان : ١٦) ، ويقول سبحانه : " مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ "(سورة المجادلة : ٧) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " ثَلاثٌ كَفَّارَاتٌ ، وَثَلاثٌ دَرَجَاتٌ ، وَثَلاثٌ مُنْجِيَاتٌ ، وَثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ "، فَأَمَّا الْكَفَّارَاتُ : فَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ ، وَنَقْلُ الأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ ، وَأَمَّا الدَّرَجَاتُ : فَإِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَإِفْشَاءُ السَّلامِ ، وَالصَّلاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، وَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ : فَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ ، وَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ ، وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ : فَشُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ " (مسند البزار).

ومن أهم السلوكيات التي ينبغي أن نُركز عليها هو التمييز بين السلوك الإيجابي والسلوك السلبي تجاه الحق العام ، والشأن العام ، والمال العام ، ففي جانب السلوك الإيجابي الذي يؤكده الإسلام ويُرشدنا ويحثنا عليه خير الأنام سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) إماطة الأذى عن الطريق ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ

بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ" (صحيح مسلم) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " إماطة الأذى عن الطريق صدقة " (مسند البزار) ، وعندما سأل رجل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن عمل يُدخله الجنة ، قائلاً: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ؟ قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : "أَمِطِ الأَذَى عَنِ طَرِيقِ النَّاس " (الأدب المفرد للبخاري) ، على أن إماطة الأذى عن الطريق لا تتوقف عند مجرد رفع حجر هنا أوهناك عنه ، وإن كان ذلك أمرًا مشروعًا ومطلوبًا وجيدًا ، ولا يُستهان أو يُستخف به، إنما حق الطريق أبعد من ذلك ، وأول حقوقه عدم الاعتداء عليه، أو الإجحاف به ، أو عدم الوفاء بحقه ، فقد قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه يومًا : "إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ فَقَالُوا : مَا لَنَا بُدٌّ ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا قَالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا ، قَالُوا :

وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ ؟ قَالَ : غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الأَذَى ، وَرَدُّ السَّلاَمِ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ" (صحيح البخاري)، على عكس السلوك السلبي الذي قد يتمثل في الاعتداء على المساحة المخصصة للطريق سواء بالبناء أم بالإشغال أم بالإزعاج أم بالخروج على الآداب العامة ، ويلحق بالطريق في ضرورة إعطائه حقه والمحافظة عليه كل ما في حكمه من مسارات السكة الحديد ، ومترو الأنفاق ، وخطوط المياه ، والغاز ، والكهرباء، وسائر المرافق العامة .

وكذلك السلوك تجاه المال العام الذي هو مال الله ، ومال الأمة ، ومال الوطن ، ومال المواطنين ، حيث يقول الحق سبحانه : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا" (سورة النساء :٢٩) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ رِجَالاً

يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (صحيح البخاري) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ"(شعب الإيمان للبيهقي).

على أن حُرمة المال العام أشد من المال الخاص ، فإذا كان للمال الخاص صاحب يدافع عنه ويطالب به في الدنيا والآخرة ، فإن المال العام الذي هو حق للمجتمع كله قد يترتب على ضياعه جوع يتيم ، أو وفاة مريض ، أو فوت مصلحة عامة للوطن ، يؤثر ضياعها على أفراد المجتمع كله ، مما يجعلهم جميعًا خصومًا لمن اعتدى عليه سواء في الدنيا أم "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ".

الفقه والفهم

يقال : فقه الرجل بفتح القاف إذا فهم ، وفقِه بكسر القاف إذا سبق غيره في الفهم ، وفقُه بالضم إذا صار الفقه له لازمة وملكة وسجية .

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللَّهُ ، وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ، أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ" (صحيح البخاري) أي ويعطي الله (عز وجل) العلم والفقه والفهم ، وقد قالوا : من عمل بما علم ورثه الله (عز وجل) علم مالم يكن يعلم ، حيث يقول الحق سبحانه في شأن الخضر (عليه السلام) :" وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً " (الكهف :٦٥) ، ويقول سبحانه : "وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ

الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ" (الأنبياء : ٨٠) حيث عبر الحق سبحانه وتعالى بلفظ "ففهمناها " ولم يقل علمناها، لأن العلم شيء والفهم شيء آخر .

ويقول سبحانه : " كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ " (يوسف : ٧٦) ، وقال تعالى على لسان يوسف (عليه السلام) : " لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ " (يوسف :٣٧) ، وقال رجل للقاضي شريح : علمني القضاء ، فقال له شريح : القضاء فقه ، القضاء لا يُعَّلم .

ولا يظن من حفظ بعض المسائل من بعض الكتب أنه قد صار حجة أو فقيهًا أو مرجعًا يرجع إليه وينزل على قوله أو رأيه ، فالأمر أبعد وأعمق ، إذ لو كان الأمر واقفًا عند حدود معرفة بعض الأحكام الجزئية بمعزل عن أصولها وسياقها

وزمانها ومكانها وقواعدها الكلية والأصولية لكان الخطب هينًا والأمر جد يسير ، غير أن الأمر أبعد من ذلك وأدق ، فعندما دخل الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) المسجد ووجد رجلاً يتصدر مجلس العلم سأله عن الناسخ والمنسوخ فلم يدر جوابًا ، فقال عليّ (رضي الله عنه) : هذا ليس بعالم ، هذا رجل يقول : أنا فلان بن فلان فاعرفوني .

فثمة إلى جانب معرفة القواعد الأصولية ، وقواعد الفقه الكلية ، وعلم الحديث رواية ودراية ، وعلوم القرآن وما يتفرع عنها ويدور حولها من دراسات قرآنية وأسرار بيانية وبلاغية ، هناك فقه الواقع ، وفقه الأولويات ، وفقه المقاصد ، وفقه النوازل ، وفقه المتاح ، وفقه الموازنات ، مما لا غنى عنه للمفتي فضلا عن المجتهد ، غير أننا ابتلينا في زماننا هذا برويبضات لا هم في العير ولا في النفير يريدون أن يتصدروا مجالس العلم عنوة ، وأن يعتلوا المنابر اقتتالاً ، وأن يكونوا في الصدارة زورًا وبهتانًا ، يبحث بعضهم عن كل شاذ أو

غريب ، لا يعنيه أول ما يعنيه إلا أن يجاري السفهاء ، أو يجادل العلماء ، أو يماري الأمراء ، أو يصرف إليه قلوب العامة والدهماء ، أو يسوق نفسه لدى الباحثين عن طالبي الشهرة وحب الظهور لإحداث لون من الإثارة أو الجدل ، لعله يحظى لديهم بمغنم أي مغنم ، ولو كان على حساب دينه أو وطنه أو كرامته أو مروءته لا يلوي على شيء ، على عكس ما نراه في أخلاقيات العلماء الفاهمين لدينهم المعتزين بعلمهم وفقههم ، على نحو ما يصوره العالم الأديب الأريب القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني الأديب حيث يقول :

إذا قِيلَ: هذا مَشْربٌ قُلْتُ : قَدْ أَرَى
ولَكِنّ نَفْسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّـــمَا
ولَمْ أَقْضِ حَقّ العِلْمِ إِنْ كَانَ كُلَّــمَا
بَدَا طَمَـــعٌ صَيّرْتُهُ لِيَ سُلَّـــــمَا
أَأَشْقَى بِهِ غَرْسَـــاً وأَجْنِيهِ ذِلَّـــــةً

إِذَنْ فَاتِّبَاعُ الجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحزمَـــا
ولَوْ أنّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُـــــم
ولَوْ عَظَّمُوهُ فِيْ النُّفُوسِ لعُظِّمـــــــَا

مع التأكيد على أن ليس للإنسان إلا ما كتب ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ " (سنن ابن ماجة) ، ويقول الحق سبحانه: " فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً " (الكهف : ١١٠) .

التحـــذير من الغفلـــة

لا يمكن لرجال الدول أن يناموا كغيرهم نومًا طبيعيًّا أو حتى شبه طبيعي ، وقد وصف الأستاذ / خالد محمد خالد في كتابه " رجال حول الرسول" سيدنا خالد بن الوليد (رضي الله عنه) فقال : رجل لا ينام ولا يترك أحدًا ينام .

وقد طالعت بعض الصحف الصادرة قبيل الذكرى الخامسة لثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١٦م ، وما أبرزته هذه الصحف من يقظة رجال القوات المسلحة ورجال الشرطة وإحباطهم لمخططات الإخوان ومن يدعمهم أو يدور في فلكهم من المتربصين بأمن واستقرار مصرنا الغالية العزيزة الآمنة المستقرة بإذن الله تعالى ، ووقوف هؤلاء الرجال الشرفاء من أبناء الجيش والشرطة كالصقور في الدفاع عن حمى الوطن ، ومعهم وَمِنْ خَلفِهم

كل شرفاء هذا الوطن ومحبي ترابه وعاشقي ثراه ، فحاولت في هذا المقام أن أؤكد على ضرورة استمرار هذه اليقظة ، وبنفس الروح والكفاءة والاقتدار .

وبما أننا ندرك إدراكًا واعيًا أننا أمام أعداء كثر يتربصون بهذا الوطن من كل جانب وينتهزون أي فرصة أو غفلة أو غفوة للانقضاض عليه ، فقد تأملت ذلك وتذكرت تحذير الله (عز وجل) لعباده المؤمنين بقوله تعالى : " وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً " (سورة النساء :١٠٢) ، فأدركت أننا جميعًا لا يجب أن نغفل أو نستكين ، لأننا أمام عدوٍّ شرس متربص بنا يود أن لو نغفل ولو لحظات لينقض علينا مُنَفّذًا ما رُسِم له من مخططات ، أو دبر لنا من مؤامرات.

على أن هذه اليقظة لا يجب أن تكون قصرًا على رجال الأمن وحدهم أو محصورة فيهم ، فكل منا على ثغر من ثغور الوطن فلا ينبغي أن يؤتى الوطن من قبله ، فالطبيب راع

ومؤتمن على كل مريض أو مكلوم في هذا الوطن ، والمعلم راع ومؤتمن على كل عقل من عقول أبنائنا ، والتاجر ، والصانع ، والعامل ، والموظف ، والإداري ، والفلاح ، كل مؤتمن في حدود الأمانة التي ولاه الله إياها ، فإما حافظ وإما مضيع ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"(متفق عليه) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه : "كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا " أي منجيها أو مهلكها ، ويقول الحق سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" (سورة الحشر :١٨) ، ويقول سبحانه : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي

وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ " (سورة لقمان :٣٣) ، ويقول سبحانه: " يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ "(سورة الحاقة :١٨) ، فليعمل كل منا اليوم ما يحب أن يلقى الله تعالى به غدًا .

وهذا كتاب الله (عز وجل) يحذرنا من الغفلة عن ذكر الله ، أو الميل إلى أهلها ، فيقول سبحانه مخاطبًا نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً "(سورة الكهف : ٢٨) ، ويقول سبحانه : "وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ

الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى" (سورة طه :١٢٤-١٢٧) ، ويقول سبحانه: " أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " (سورة محمد :٢٤) ، فالسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من وعظ بنفسه ، أي أنه لا يعتبر ولا يتعظ حتى يبغته الأجل ، فيندم حين لا ينفع الندم ، فيقول : " رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " (المنافقون : ١٠-١١) ، وعندما نزل قول الله (عز وجل) : " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " (آل عمران :١٩٠-١٩١) قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا) وَفي رواية : (وَيْلٌ لِمَنْ لَاكَهَا بَيْنَ فَكَّيْهِ وَلَمْ يَتَأَمَّلْ فِيهَا) ، فالغفلة مذمومة على كل حال سواء في أمر ديننا أم في أمور دنيانا .

بين الصلاح والإصلاح

لا شك أن الإسلام إنما هو دين الصلاح والإصلاح معًا ، بأن يكون الإنسان صالحًا في ذاته وخاصة نفسه ، فيما بينه وبين الله ، وما بينه وبين نفسه ، وما بينه وبين الناس ، مصلحًا للآخرين أو ساعيًا إلى إصلاحهم على أقل تقدير.

وقد ربط القرآن الكريم بين الإيمان والإصلاح فقال سبحانه وتعالى : " فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ " (الأنعام: ٤٨) ، وقال سبحانه : " فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " (الكهف: ١١٠)؟ ، وقال سبحانه : "وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا " (طه: ١١٢) ، وقال سبحانه : " مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ " (سورة النحل : ٩٧)، كما ربط بين التقوى

والإصلاح ، فقال سبحانه : "فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ" (سورة الأعراف :٣٥)، وربط بين التوبة الصادقة والصلاح والإصلاح ، فقال سبحانه : "فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا" (سورة النساء :١٦) ، وقال سبحانه : " إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " (سورة النور :٥)، وقال سبحانه : " إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا " (الفرقان:٧٠-٧١).

والأديان كلها قائمة على فكرة الصلاح والإصلاح ، فقد قال الفقهاء : حيثما تكون المصلحة فثمة شرع الله ، لأن شرع الله (عز وجل) قائم على مراعاة مصالح البلاد والعباد ، وقد ذكر القرآن الكريم عشر وصايا في أواخر سورة الأنعام قال عنها سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) : هن

من الآيات المحكمات التي لم تختلف في أمة من الأمم أو شريعة من الشرائع ، لما فيها من صلاح الفرد والمجتمع ، وذلك حيث يقول الحق سبحانه : " قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " (الأنعام :١٥١-١٥٣) ، فمن خرج عن مقتضيات هذه الوصايا خرج على مقتضيات الشرائع كلها ، ذلك أن جميع الشرائع السماوية قائمة على الحق والعدل وإنصاف الآخر ، والصلاح

والإصلاح ، والاستقامة على الجادة.

فإذا انتقلنا من العام إلى الخاص ، فهذا نبي الله موسى (عليه السلام) يقول لأخيه هارون (عليه السلام) : " اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ" (الأعراف: ١٤٢)، وهذا شعيب (عليه السلام) يقول لقومه : " أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" (الشعراء: ١٨١ – ١٨٣) ، ويؤكد ذلك بقوله : " إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ " (هود :٨٨) ، وهذا سيدنا صالح (عليه السلام) يخاطب قومه فيقول : " هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ " (هود:٦١) ، ويقول لهم: " فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ " (الشعراء : ١٥٠–١٥٢) .

وقد نهى الإسلام عن الفساد والإفساد حتى في مال العدو وحتى في حرب الكفار ، فنهى المسلمين أن يقطعوا شجرًا ، أو يحرقوا زرعاً أو ثمرًا ، أو يخربوا عامرًا ، لأن ذلك كله إفساد " وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ " ، ويقول سبحانه : " إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ " (سورة القصص :٧٧).

ويقول سبحانه : " وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ " (سورة الأعراف :٨٥) ، فخير الناس أنفعهم للناس ، وإن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ، ومنهم مفاتيح للشر مغاليق للخير ، فطوبى لمن جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر ، ويا شؤم ، ويا بؤس ، ويا لسوء عاقبة من كان مفتاحاً للشر بابًا للفساد والإفساد ، محراث شر كما كانت العرب تقول في جاهليتها .

وإني لأعجب لهؤلاء الأدعياء العملاء الخونة لدينهم وأوطانهم ، الذين يؤصلون للفساد والإفساد ، ويبنون

فلسفاتهم الفكرية على الهدم والتخريب والتدمير ، على نحو ما نلمس في كثير من كتابات متطرفي جماعة الإخوان الإرهابية ، حيث دعا سيد قطب في بعض مذكراته إلى وجوب قيام فئة مؤمنة وفق تصوره الذي استقت منه الجماعة فكرها بردّ المجتمعات من الجاهلية المزعومة في نظره إلى الإسلام من جديد، مؤكداً أن هذه الفئة لابد أن تصطدم مع المجتمع ، وعليها أن تُعد نفسها لهذا الصدام ببناء قوة ذاتية لها قادرة على ردع المجتمع ، ومما دعا إليه بعضُ ما نشهده الآن ، حيث دعا إلى إنهاك الدولة بتدمير بناها التحتية ، فدعا صراحة إلى تدمير أبراج الكهرباء ، وهدم الجسور وتدميرها ، بل دعا إلى ما هو أبعد من ذلك إلى أن هناك رؤسًا يجب أن تقطع في سبيل تمرير مشروعهم، وذكر أناساً بأشخاصهم وأعيانهم آنذاك ، وهو عين ما تنتهجه داعش وحليفتها الإرهابية جماعة الإخوان في أيامنا هذه ، مما يستوجب كشف زيف نظرياتهم التي بنوا عليها

جماعتهم، دون نظر إلى المصالح العليا للأوطان التي لا تمثل في نظرهم سوى كومة من تراب لا قيمة لها ، ضاربين بمفهوم الدولة الوطنية عرض الحائط على نحو ما صرح به أحد مرشديهم من ألفاظ في حق الوطن يعف اللسان عن ذكرها أو تكرارها.

العلاقة بين الرزق والأمن

لقد ربط القرآن الكريم بين الرزق والأمن في مواضع متعددة ، منها قوله تعالى في سورة النحل : "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" (النحل : ١١٢) ، فلما كانت القرية آمنة مطمئنة يتعاضد أبناؤها في الحفاظ على أمنها كان يأتيها رزقها رغدًا وفيرًا هانئًا من كل مكان ، فلما كفرت بأنعم الله (عز وجل) عليها وجحدتها أذاقها الله (عز وجل) لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، " وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (النحل : ١١٨) ، ويقول سبحانه في سورة قريش : " لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ" ، وفي سورة القصص عقب القرآن الكريم على

أهل مكة بنعمتي الأمن والرزق مرتبطتين بحرمة الأمن ، فيقول سبحانه وتعالى : " أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (القصص : ٧٥) ، ويقول سبحانه في سورة الأنفال : "وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (الأنفال : ٢٦) ، وهذا نبي الله إبراهيم (عليه السلام) يدعو ربه أن يجعل لآله وذريته حرمًا آمنًا وأن يرزق أهله من الثمرات ، فيقول : " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ" (البقرة : ١٢٦) ، ويقول كما حكى القرآن الكريم على لسانه (عليه السلام) في سورة إبراهيم : " .. رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ

الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" (إبراهيم : ٣٥-٣٧) ، ويذكرنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) ببعض نعم الله (عز وجل) علينا ، فيقول (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا " (سنن الترمذي) ، على أن النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي لا ينطق عن الهوى قد قدم نعمة الأمن على نعمتي الصحة والرزق للتأكيد على أهمية هذه النعم وضرورة الحفاظ عليها ، وعبر (صلى الله عليه وسلم) بالأمن في قوله: " آمِنًا فِي سِرْبِهِ" للتأكيد على الحفاظ على نعمة الدار حتى لو كان في مجرد سرب أو شق أو نفق

فالعلاقة بين الأمن والرزق وتوفير المناخ الملائم للاستثمار علاقة طردية ، فمتى تحقق الأمن والأمان والاستقرار تبعه النمو والاستثمار والعمل والإنتاج واتساع أسباب الرزق ، ومتى كانت الحروب ، أو التطرف والإرهاب ،

والتخريب والتدمير ، والفساد والإفساد ، كان الشتات والفقر ومشقة العيش وصعوبة الحياة.

لهذا كله حرم الإسلام كل ما يهدد أمن الناس وحياتهم، لدرجة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نفى الإيمان – سواء أكان نفي أصل الإيمان ، أم نفي كمال الإيمان ، على اختلاف المجتهدين في المقصود من معمول النفي – عن كل من يهدد أمنهم وسلامهم ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ " (سنن الترمذي) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ " (رواه أحمد) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، قَالُوا : وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : جَارٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ، قَالُوا: وَمَا بَوَائِقُهُ ؟ قَالَ : شَرُّهُ " (المستدرك للحاكم) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): "وأن تكف الأذى عن الناس صدقة".

قد نهى الإسلام عن كل ألوان الفساد والإفساد ، فقال سبحانه وتعالى : " وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا .." (الأعراف: ٥٦) ، ".. وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ " (هود: ٨٥) ، ويقول سبحانه : "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ" (البقرة : ٢٠٤-٢٠٦) ، ويقول (عز وجل) : " فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد : ٢٢-٢٤).

المصريون يقرأون

كـان العـدو الصـهيوني يـروج جاهـدًا أن العـرب لا يقـرأون، وإن قرأوا قد لا يفهمون ، وإن فهموا قد لا يتابعون ، وإن تـابعوا فحسـبهم أن يشـجبوا ويسـتنكروا ، فتسـمع لهـم جعجعة ولا ترى لهم طحنًا ، فقد كان يعمد بذلك إلى تشويه صورة العرب من جهة ، وتمرير أجندات دولية خاصة به من جهة أخرى .

غـير أن الأمـر قـد تغـير تغـيرًا جـذريًّا في كـل مؤسسـاتنا الفكريـة والثقافيـة ، ففـي نطـاق الثقافـة الدينيـة أخـذت المؤسسات الدينية المصرية مجتمعة تشق طريقها نحـو متابعة الأحـداث والحركـات الفكريـة العالميـة ، ورصـد مـا ينشـر في هذا الشأن ، والرد على ما ينبغي الرد عليه منه ، على نحـو ما يحدث في مرصدي الأزهر الشريف ، ودار الإفتاء المصرية ، بما لهذين المرصدين من جهد كبير بدأ أثره يظهر إقليميًّا

وعالميًّا ، بحيث اتخذ البرلمان الأوروبي دار الإفتاء المصرية مرجعًا معتمدًا له في شئون الإفتاء ، واستكمالاً لعمل المرصدين وتكاملاً معها ، أخذنا في وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بها منحى آخر مكملاً لعمل المرصدين ، وهو العمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة، وتوصيل الصوت الإسلامي الوسطي ، من خلال إنشاء سبع عشرة صفحة رسمية لوزارة الأوقاف بسبع عشرة لغة، ونشر ترجمة معاني القرآن الكريم بعشر لغات هي : " الإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، والأسبانية ، والروسية ، والصينية ، والإندونيسية ، والسواحلية ، والكورية ، والألبانية"، مع نشر فقه العبادات بعدة لغات أجنبية ، تيسيرًا على المسلمين في فهم وأداء شعائرهم الدينية ، في سهولة ويسر ، مع ترجمة خطبة الجمعة دوريًّا إلى عدد من اللغات ، وبخاصة الخطب ذات الطابع الإنساني ، إضافة إلى التنسيق المستمر مع وزارة الخارجية لمد المراكز الإسلامية بالخارج

بمجموعات كبيرة من منشورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وإصداراته باللغات المختلفة ، وبخاصة في مجال تصحيح المفاهيم الخاطئة ، ونشر الفكر الإسلامي الصحيح .

وفى سبيل تطوير ذلك قمنا بإنشاء وافتتاح أكاديمية الأوقاف لتدريب الأئمة وإعداد المدربين ، مع التركيز على إعداد الأئمة إعدادًا متميزًا في مجال اللغات الحية الرئيسة ، حيث بدأنا بأربع دورات باللغة العربية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، وانتقينا في مجال اللغات المتميزين من الأئمة خريجي كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر الدراسين للعلوم الشرعية باللغات الأجنبية ومعظمهم من الحاصلين على الماجستير أو الدكتوراه باللغة التي يدرس بها ، حتى لا نبدأ من الصفر ، وإنما نبني على أرضية صلبة قابلة للنماء ، قادرة على التعامل مع الآخر بلغته ، خطابة ، وتدريسًا ، وكتابة ، وتواصلًا إلكترونيًّا ، وعبر وسائل التواصل الحديثة والعصرية المختلفة .

كما أننا ولأول مرة في تاريخ الأوقاف المصرية سنخصص قسمًا من صالتي العرض والبيع المخصصتين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف في معرض الكتاب القادم بإذن الله تعالى لمنشورات الأوقاف المصرية باللغات المختلفة والتي بلغت خمس عشرة لغة ، مما يكسر حالة الجمود ، ويؤكد أننا قادرون على استرداد الريادة العالمية في مجال الثقافة الإسلامية ، وعلى إعداد جيل من الأئمة والعلماء والمفكرين المستنيرين في نهضة جديدة نؤمل أن تؤتي أكلها في القريب العاجل ، ويتعاظم دورها تباعًا في المدى المتوسط والمدى البعيد ، " وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ" ، كما أننا استجابة لاقتراح صحيفة الجمهورية قد قررنا عقد دورات في الثقافة الإسلامية باللغات المختلفة لشباب الإعلاميين ، وبخاصة في مجال الإعلام الديني ، لتتكامل جهود الأئمة والإعلاميين والمثقفين والمفكرين في مواجهة التطرف ونشر الفكر الإسلامي الصحيح .

للـــه وللـتاريـــــخ

هنـاك سـؤال يطـرح نفسـه وبقـوة وهـو : لمـاذا الصـمت الرهيب عن دواعش أمريكا وإسرائيل؟

على أن هـذا السـؤال لـيس محـيرًا ، ولا يمكـن أن يكـون محـيرًا ، ولا حتـى مدهشًـا ، ذلـك لأن كـل ذي عقـل ورؤيـة وبصر دقيق يدرك أننا في عـالم أشـبه مـا يكـون بعـالم الغـاب ، ليس البقاء فيه للأقوى فحسب ، بل للأكثر افتراسًا .

وإذا كـان هـذا هـو الظـاهر مـن السياق أو الطـافي علـى السطح جـراء حماقـات مـن فقـدوا البصيرة الثاقبـة والإدراك الـــواعي ، فإننـــا نؤكـــد أن الحضـــارات ، أو الـــدول ، أو الجماعات، أو التنظيمات ، أو العصابات ، التي تقوم على غـير أساس أخلاقي أو إنساني تحمـل عوامـل سـقوطها وانهيارهـا في أصـول قيامهـا ، كمـا تحمـل لعنـة التـاريخ عـبر مسـاره الإنساني الطويل.

ولكن السؤال المحير كيف غفل العالم أو تغافل كل هذا الوقت عن جرائم إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني الأعزل ، وضد الأسرى المصريين ، وجرائم أمريكا في غوانتانامو وأبي غريب ، وفي سجون أمريكا نفسها ؟ وهل سنظل طول الوقت فقط نقسم بكل الكتب السماوية أن الإسلام برئ من الإرهاب ، وأننا لا يمكن أن نقر هذا الإرهاب أو نقبله لأنه دخيل علينا غريب على ثقافتنا وأخلاقنا وعادتنا وتقاليدنا ؟ وكل ذلك صحيح ، فإسلامنا كذلك ، وأخلاقنا كذلك ، وسنظل نؤكد ذلك ونلتزمه واقعًا ، وفكرًا ، وثقافة ، وتدينًا ، ولكن غير الطبيعي ألا نبرز على الجانب الآخر أن من ابتدع مظاهر هذا العنف وصار له صناعة ويرعاه ويتبناه واقعًا هو العدو الصهيوني ومرتزقة الجيش الأمريكي ، إذ لا يمكن أن نمحو من الذاكرة الإنسانية الجرائم التي حدثت ضد الإنسانية بمعتقل غوانتانامو ، وسجن أبي غريب ، وفي سجون أمريكا وفي معتقلاتها داخل أمريكا وخارجها ، أو ما

تقوم به إسرائيل من إبادات فردية وجماعية ممنهجة في حق الشعب الفلسطيني الأعزل بل في حق أطفاله ونسائه وكهوله .

أما قطعان المستوطنين وجهاز الشاباك الإسرائيلي فحدث ولا حرج عن وسائل الإنهاك والتعذيب التي يتعرض لها المعتقلون الفلسطينيون على أيديهم ، ناهيك عن قتل الأطفال وإحداث إعاقة متعمدة بهم ، حتى عد أحد الكتاب المصريين في مقال نشر بصحيفة الأخبار أن أبشع جريمة حدثت في عام ٢٠١٥م هي حرق الطفل الفلسطيني علي الدوابشة حيًّا مع أسرته ، كما نشرت صحيفة الجمهورية في عددها الصادر بتاريخ ٢٠١٥/١٢/٣١م أن حفل زفاف إسرائيلي رقص فيه المحتفلون احتفاءً بمقتل الطفل الفلسطيني على الدوابشة الذي أحرق حيًّا مع عائلته بالضفة الغربية ، وأن العريس نفسه كان من المحتفلين حيث أظهر التسجيل ضيوف الحفل وهم يغنون ويرقصون بالبنادق

والسكاكين وفي أيديهم قنبلة حارقة غير مشتعلة، وظهر أشخاص وهم يطعنون صورة الطفل الذي قتل مع عائلته ، وأظهر تسجيل الفيديو ضيوف الحفل وهم يهتفون بأنهم انتقموا من الفلسطينيين .

ولا ينكر متابع عن كثب للأحداث أن داعش وأخواتها من الجماعات الإرهابية هي صنيعة وربيبة قوى استعمارية تعمل على تفتيت منطقتنا وتمزيق دولها وتفتيت كيانها.

على أننا نؤكد دائما أن الإرهاب لا دين له ، ولا وطن له، وأنه يأكل من يصنعه ومن يدعمه ومن يأويه ، إن اليوم وإن غدًا ، وإنَّ غدًا لناظره قريب .

ونؤكد أيضًا وسنظل نؤكد أننا دعاة سلام للعالم كله وللبشرية جمعاء ، وأن أيدينا ممدودة بالسلام دائمًا إلا دفاعًا عن النفس وردًّا للغاشم المعتدي ، وأننا في حاجة ملحة إلى اصطفاف إنساني حقيقي لقطع دابر الإرهاب كل الإرهاب دون استثناء أو انتقاء ، حتى نخلص البشرية كلها من شره ،

وأننا دائمًا في مقدمة من يواجهون الإرهاب بحق وصدق عسكريًا ، وفكريًّا ، رئيسًا ، وجيشًا ، وشعبًا ، ومفكرين ، وعلماء ، ومثقفين ، وسنظل كذلك لإيماننا الراسخ بخطر الإرهاب ، ولعقيدتنا التي تحثنا على مواجهته واجتثاثه من جذوره من منطلق ديني ووطني وإنساني .

نعمة الأمن والاستقرار

يُعد الأمن نعمة من أهم النعم ، ويأتي في مقدمتها ، يقول نبينا صلى الله عليه وسلم : " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً في سربِهِ ، مُعَافَىً في جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا" (رواه الترمذي) .

فالأمن من أجل النعم التي امتن الله عز وجل بها على عباده ، حيث يقول سبحانه وتعالى ممتناً على قريش : " لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ " (سورة : قريش) ، ويقول سبحانه وتعالى ممتناً على مكة وأهلها : " أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " (القصص :٥٧)، " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ " (العنكبوت :٦٧) ،

ويقول سبحانه : " وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (الأنفال : ٢٦) .

على أن القرآن الكريم يربط بين الأمن والإيمان ، والحفاظ على هذه النعمة وعدم جحودها أو إنكارها أو نكرانها ، أو الخروج على مقتضيات الحفاظ عليها ، فيقول الحق سبحانه : " الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ " (الأنعام:٨٢) ، ويقول سبحانه : " لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ" (سبأ :١٥-١٨) ، ويقول

سبحانه : " وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ " (النحل :١١٢).

ولنا في الحاضر من حولنا عبرة ومتعظ بحال تلك الدول التي سقطت في براثن الفوضى والتفكك ، والتشرذم والتمزق ، ما بين لاجئ متعرض لمخاطر لا تحصى ولا تعد ، ومشرد ، ومعتقل ، ومحاصر ، أو شهيد ، أو قتيل ، أو مصاب ، أو مقعد ، أو مشوه ، أو عاجز ، حيث رأينا الإرهابيين المجرمين يستغلون حالة الفوضى والتفكك هذه ويتجاوزون كل حدود الإنسانية في الفتك والتنكيل بالبشر من الحرق والسحل ، والسبي والاغتصاب ، والاستعباد ، وحمل الناس على حفر قبورهم بأيديهم ، مما يدعونا وبقوة إلى الحفاظ على ما أنعم الله (عز وجل) به علينا من أمن وأمان واستقرار .

على أن الحفاظ على هذه النعمة يحتاج منا إلى أمرين : أحدهما : شكر الله (عز وجل) عليها ، حيث يقول سبحانه :

"وَإِذْ تَـأَذَّنَ رَبُّكُـمْ لَـئِنْ شَـكَرْتُمْ لَأَزِيـدَنَّكُمْ" (إبـراهيم : ٧) ، والشكر ليس في المال فحسب ، وإنما في سائر النعم .

الأمر الآخر : هو وحدة الصف ، وإدراك حجم التحديات الـتي تواجهنـا ، والأخـذ بقـوة علـى أيـدي دعـاة القتـل والاغتيال وسفك الدماء والفوضى والتخريب ، الداعين إلى التطاول على رجال الجيش والشرطة ، وعلى مرافق الدولة ومؤسساتها ، مع تأكيدنا أن كل من يسلك هذه المسالك الخبيثة ينبغي أن يحاكم بتهمة الخيانة الوطنية العظمى ، لأن هؤلاء الخونة والعملاء هم الأخطر على أمن الوطن واستقراره ، وهم لسان حال أعدائه ، ويدهم الطولى في الإفساد والتخريب ، فهم يأكلون طعامنا ، ويلبسون ثيابنا ، ويطعنوننا في ظهورنا ، وهم عيون أعدائنا ، إذ لا يمكن للإرهاب أن يخترق أيّ دولة أو مجتمع إلا في ظل حواضن تستقبله وتأويه ، وتوفر له المناخ الملائم لإثارة الفوضى .

كما يجب مراقبة التمويل الأجنبي ، وعلامات الثراء

الفاحش التي تظهر فجأة على بعض المأجورين الذين يبيعون دينهم ووطنهم وأهليهم وآدميتهم وإنسانيتهم بثمن بخس ، ظانين أنهم يمكن أن يخدعوا المجتمع ويفلتوا بجرائمهم ، " يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ " (النساء :١٤٢) .

وإذا استطاع بعضهم أن يخدع بعض الناس بعض الوقت، فمن المستحيل أن يخدع أحد كل الناس كل الوقت ، ولا ينس أحد أنه سيقف يوماً بين يدي من لا يغفل ولا ينام ، حيث يقول الحق سبحانه: "وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ" (الصافات :٢٤) ، ويقول سبحانه : " وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء " (إبراهيم :٤٢-٤٣) ، ويقول سبحانه : "الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ " (غافر :١٧) .

الثقافة والرياضة

إذا كان هناك ما يعرف بالثالوث المدمر ، وهو الجهل والفقر والمرض فإن من الطبيعي أن يكون ما هو عكس ذلك من العلم والمال والصحة وسيلة للتقدم والرقي على مستوى الأفراد والأمم ، ولكني من واقع تجربة عشتها لأيام خلال زيارتين لدولة صديقة لمصر وهي دولة كازاخستان ، ورأيت كيف يحرص هذا الشعب على جملة من العادات المحمودة، من أهمها نظافة الإنسان والمكان ، والحرص على الرياضة ، وتقديس العمل ، حيث يبدأ العمل ما بين السابعة والتاسعة صباحًا وفق نطاق كل مؤسسة وينتهي ما بين الخامسة والسابعة مساءً ، وفي رحلة جبلية رأيت كيف يعشق كثير من الكازاخستانيين صعود الجبال أو تسلقها، أو التزحلق على جليدها ، وكما قال أبو القاسم الشابي:

وَمَنْ لا يُحِبّ صُعُودَ الجِبَالِ

وفي لقائي برئيس مجلس الشيوخ ، ثم بوزير الثقافة والرياضة وشئون الأديان ، ثم بصحبة نائبه طوال الزيارة كان لنا أحاديث عديدة في الشأن الديني والدعوي والفكري والثقافي والرياضي ، ففكرت أن أكتب مقالاً تحت عنوان "الثقافة والرياضة" أُبيّن فيه أثر كل منهما في بناء الشخصية السوية ، غير أني تأملت في مسمى وزارة الثقافة والرياضة وشئون الأديان ، فقلت هذا هو بيت القصيد ، ومربط الفرس كما يقولون ، فهذا الثالوث : الدين ، والثقافة ، والرياضة ، يُعد أهم ثالوث مقوم لسلوك الإنسان ومؤثر في بناء وتكوين شخصيته ، ولا يمكن لواحد منها أن يقوم ببناء الشخصية بناءً متكاملاً بمعزل عن المكونين أو المقومين الآخرين ، فمن حيث الجانب الرياضي نستطيع أن نقول: لا يمكن أن تكون هناك لياقة ذهنية تامة بدون لياقة بدنية تامة ، وكما قالوا : العقل السليم في الجسم السليم ، وإنها لمقولة سديدة إلى

حد بعيد.

وأما من حيث الثقافة فقد أكدت في أكثر من مقال ومقام أن جزءًا كبيرًا من واقعنا المؤلم المر في مجال الفهم الخاطئ ، والتصرفات الخاطئة ، والوقوع في براثن الجهلة من عناصر الجماعات المتطرفة يرجع إلى ضيق الأفق الثقافي أو ضآلته أو ضحالته أو انغلاقه أو انسداده ، وقد عرّف بعض المفكرين من المناطقة الإنسان بالرسم لا بالحد ، وبالخاصة على النحو الذي قرروه في باب التعريفات بأنه "حيوان مثقف"، وكأنهم يقررون أن إنسانية الإنسان تقاس بمقدار ثقافته "وقدر كل امرئ ما كان يحسنه" ، وقديمًا قالوا: "قبح الله من لا أدب له" وكان الأدب آنذاك معادلاً للثقافة ومرادًا بها كما أنها مرادة به ، فقد كانا أشبه بالمترادفين ، ولذا قالوا : الأدب جماع العلم .

أما المجال الثالث الذي لا يكتمل البناء الإنساني إلا به، فهو الفكر الديني الصحيح الذي لا يخالطه تشويه ولا

سوء فهم ، الذي يؤخذ عن العلماء المتخصصين ، وليس عن الجهلة أو الدخلاء أو المأجورين أو المنتفعين، أو المتاجرين بالدين ، بل عن هؤلاء العلماء الراسخين في العلم ، والذين قال الله (عز وجل) فيهم:" وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" (آل عمران: ٧) ، وقال فيهم : "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ "(فاطر : ٢٨) ، وقال فيهم: "يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"(المجادلة:١١) ، وقال فيهم نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم): " وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ " (سنن أبي داود) .

مواقع الفتنة والضرار

لا شك أن كثيرًا من الوسائل العصرية إنما هي حمالة أوجه ، أو أسلحة ذات حدين كما يقولون ، فالسكين التي لا غنى عنها في كثير من الاستخدامات الحياتية قد صارت في أيدي بعض المتطرفين وسيلة للذبح وسفك دم البشر ، والسلاح الذي لا غنى عنه في الدفاع عن الأوطان قد يصير لدى الدول الغاشمة والجماعات المتطرفة وسيلة للظلم والعدوان والفتك بالبشر بدون حق ، وهكذا في كثير من الصناعات والاختراعات والابتكارات المستحدثة ، غير أن العاقل من يأخذ خيرها ونفعها ويتقي شرها وضرها .

ووسائل التواصل ومواقعه التي ينبغي أن تكون وسيلة لبث الحكمة والمعرفة ، والحوار الحضاري ، ونقل العلوم والمعارف والثقافات ، صارت لدى بعض الخارجين على النسق الإنساني السوي وسائل لهدم الدول والمجتمعات ،

وتشويه الرموز الوطنية ، وبث الفتنة والفرقة بين أبناء الوطن الواحد ، وترويج الشائعات ، وإنزالها منزلة الحقائق الثابتة ، مع ما شاب ويشوب بعض هذه المواقع من الادعاء والكذب واستخدام التقنيات الحديثة في التحريف وإلباس الباطل ثوب الحق ، والتشويه والخلط ، مما يتطلب يقظة مهنية ووطنية ، وصحوة في الضمير الإنساني ، والوقوف عند حدود الشرع والقيم والأخلاق ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ " (الحجرات :٦)، وفي قراءة "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتثبتوا" مما يوجب ضرورة التحقق والتبين والتثبت ، وبخاصة من أخبار الفساق والمشبوهين أفرادًا أو مواقع ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا ، أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ " (رواه مسلم) ، وفي رواية : " كَفى بالمَرْء إثمًا أن يُحَدِّثَ بكُل ما سَمِعَ " (سنن أبي داود) ، أي

لو لم يكن للإنسان من الذنوب سوى أن يكون بوق كلام ينقل كل ما يسمع دون تحرٍّ أو تدقيق أو تثبت لأوقعه ذلك وحده دون سواه في الهلاك ، و يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالاً ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ "(رواه البخاري) ، ويقول الحق سبحانه :" إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ " (النور :١٥) ويقول عز وجل : " وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسئُولاً " (الإسراء : ٣٦) .

أما هذه المواقع والصفحات التي تعمل على هدم الأوطان ورمي الناس بالتهم كذبًا وافتراء وظلمًا وعدوانًا وبهتانًا فهي مواقع وصفحات ضرار وفتنة يجب التصدي لها وكشف جهل أو عمالة أو كذب وافتراء القائمين عليها ، على أن بعض هذه المواقع المشبوهة المحرضة إنما تعمد إلى نظم وآليات تعطيها أكثر من حجمها ووزنها في المتابعة

والمشاهدة الحقيقية وتظهرها على أنها مواقع عملاقة مع أنها على أرض الواقع لا قيمة لها ولا وزن ، كما أن الجماعات الإرهابية يدعم بعضها بعضًا على مواقع التواصل ، كما أن لها ما يعرف بالكتائب الإلكترونية التي تعمد إلى التشويه من جهة وبث الأباطيل والأكاذيب والافتراءات من جهة أخرى ، ودعم بعضها بعضًا من جهة ثالثة ، علمًا أن هذه المواقع تجاوزت بث الأخبار الكاذبة إلى انتهاج أسلوب التهكم والسخرية من خلال بث مواد مقروءة تارةً ، ومصورة أو مسموعة أو مصورة مسموعة تارة أخرى ، ناسين أو متناسين أن الإنسان قد يتكلم الكلمة من سخط الله ليضحك بها جلساءه أو متابعيه أو مستمعيه فيهوي بها في النار بعد الثريا ، يقول الحق سبحانه : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ

فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ" (الحجرات: ١١-١٢) ، علمًا أن بعض هذه المواقع وبعض هذه الصفحات قد تجاوز كل ذلك إلى القذف المحض والسباب المحض والتحريض الصريح على القتل والفساد والإفساد والتخريب دون وازع من دين أو ضمير أو إنسانية أو خلق قويم ، والله لا يحب الفساد ، ولا يحب المفسدين ، ونهى عن الفساد في الأرض ، فقال سبحانه: "وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا "(سورة الأعراف :٥٦).

وهنا نؤكد على أمرين :

الأول :

أن كل ما يأخذك إلى الرحمة والصدق والعمل والإنتاج والبناء والتعمير والأمن والأمان والسلام يأخذك إلى صحيح

الإسلام ، وكل ما ينحدر بك في اتجاه الفحش والخنا والسباب والفسوق ورمي الناس بالباطل ، والحث على القتل وسفك الدماء ، وترويع الآمنين ، والهدم والتخريب والفساد والإفساد يأخذك إلى ما لا علاقة له بالدين ولا بالإنسانية بل إنه ليأخذك إلى ما يناقض الدين والفطرة السوية.

الأمر الآخر :

أنه يجب التصدي وبكل قوة وحسم لهذه المواقع والصفحات المشبوهة ، والأخذ على أيدي أصحابها سواء بالمواجهة الفكرية ، أم بالإجراءات القانونية الحاسمة وإنفاذ القانون وبكل قوة وحسم على من يعبث بأمن الوطن ومقدراته ، أم بهما جميعًا ، من كان جاهلاً أو مضللاً علَّمناه وأرشدناه ، ومن دعاة الفتنة وأربابها انتزعناه وانتشلناه ، ومن كان ذا غيٍّ وهوىً وضلال بالحسم والقوة والقانون قوَّمناه.

مخاطر إيواء الإخوان

لا ينكر عاقل أو متابع منصف غير منحاز انتهاج جماعة الإخوان الإرهابية للعنف والتحريض على القتل ، وتحالفها مع أكثر الجماعات تطرفًا في العالم ، كما لا يستطيع أحد أن ينكر انحدارها الأخلاقي إلى درجة لا يمكن التعايش معها أو القبول بها ، أو حتى معايشتها ، لأنها في عدواها أشد خطرًا من الإيدز والفيروسات القاتلة ، وعلى حد قول الشاعر : " فإن خلائق السفهاء تعدى" .

وأظن أن من يحتضنون الإخوان بأي لون من ألوان الاحتضان يمكن تصنيفهم على النحو التالي :

الأول : تلك الدول التي تحتضن الإخوان ، لتستخدمهم في خدمة أهدافها وأغراضها ، وتحقيق مطامعها في منطقتنا العربية ، والعمل على تفكيكها وتفتيتها وتمزيقها لصالح العدو الصهيوني الذي لا تخفى مطامعه ، والذي تبجح رئيس

وزرائه مستغلا الوضع الراهن في سوريا بإعلان أن الجولان ستظل إسرائيلية إلى الأبد ، وأحسنت الخارجية المصرية صنعًا عندما بادرت على الفور بالردّ الحاسم بأن الجولان سورية عربية مع تأكيدنا أنها ستعود إلى وطنها الأم طال الزمن أو قصر بإذن الله تعالى ، وليس الأمر قاصرًا على العدو الصهيوني إنما يتجاوزه إلى مصالح كل قوى الشر الطامعة في نفط منطقتنا وخيراتها ومقدراتها الاقتصادية والطبيعية .

ولا شك أن هذه القوى تنظر إلى الإخوان على أنهم مجرد أداة ، ومع أنها تدرك طبيعتهم الغادرة الماكرة ، إلا أن تحالف المصالح قد يجمع الفرقاء والمتناقضين ، مع إدراك هذه القوى العالمية أنها حتى إن لم تصل إلى مقاصدها ومراميها من خلال استخدام عناصر هذه الجماعة الإرهابية الضالة فإنها ستنجح على أقل تقدير في استخدامهم في إثارة القلاقل والفوضى والإرباك في بلادنا ومنطقتنا ، وأنهم مجرد جماعة أجيرة لمن يدفع لها أو يستخدمها ، وقد تظن

بعض هذه القوى أنها تكسب إلى جانب ذلك لونا من استقطاب الجماعة قد يقيها شرها ولو إلى حين.

الصنف الثاني : هو تلك الدول أو القوى التي ربما لا تريد أن تدخل في مواجهة صريحة مع الجماعة ، أو لها حسابات خاطئة في توازناتها السياسية ، أو بها تيارات متعاطفة مع الجماعة ، فتوهم مجتمعاتها بأنها تُسهم في دفع المظلومية الكاذبة عن الجماعة أو أنها تتقي شرها ، أو أن الوقت غير مناسب لمواجهتها ، بما يضفي على الجماعة هالة لا تستحقها ولا هي عليها ، لأنها جماعة خسيسة جبانة ، لا تفي بعهد ولا بوعد ، طبعها الغدر والخيانة والكذب ، وسبيلها الميكافيلية الرهيبة المقيتة ، فالغاية لديها تبرر كل الوسائل .

وقد أكدت في أكثر من مقال أن الجماعة سقطت سقوطًا سياسيًّا واجتماعيًّا وأخلاقيًّا شهد به القاصي والداني حتى من بعض حلفائها وبعض عناصرها ، وصارت كالنار يأكل بعضها بعضًا ، ويُخَوِّنُ بعضها بعضًا ، في أسلوب لا يليق ولا

يمكن أن يليق بأناس كانوا يحسبون أنفسهم على الدين ، والدين من أفعالهم الساقطة براء.

وإذا كنا نؤكد أن ديننا دين الرحمة فإنهم سلكوا كل سبل العنف ، وإذا كنا نؤكد أن ديننا دين البناء والتعمير فإنهم ينتهجون سبل الإفساد والتخريب ، وإذا كنا نرى في مقدمة علامات الإيمان الصدق ، فإن الكذب قد صار لهم طبعًا وعلامة وسمة ، وإذا كنا نرى الوفاء بالعهود جزءًا لا يتجزأ من أخلاق الإسلام فإن الغدر وخلف العهود والوعود قد صار لهم سجية ، وإذا كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يقول : " لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ " ، فإن أفعالهم وتصرفاتهم تأتي على عكس ذلك ونقيضه.

ولهؤلاء وأولئك نؤكد :

١- أن عناصر الإخوان خطر داهم ، أينما حلوا لا يأتون بخير ، وأن وصف ذي الوجهين كأنما لم يكن إلا لهم ، وإن أخطأهم فلن يجد شرًا منهم في ذلك ، والدليل

على ذلك أن لهم خطابين مختلفين تجاه أوطانهم ، الأول لعناصرهم بالحث على العنف والتخريب والفساد والإفساد ، والآخر ما يُسَوِّقُونه للعالم الغربي بأنهم ضحية وليسوا جلادين سفاكي دماء ، ومن لا خير له في وطنه فلن يكون فيه أي خير لمن سواه .

٢- أن هذه الجماعة كخفافيش الظلام ، تعشق التنظيم السري ، والعمل في الكهوف ، وإذا كانت لا تؤمن بوطن ولا بدولة وطنية فإنها كذلك لا تحفظ جميلاً ولا تبقى على معروف ، وأنها سريعة التقلب كالحرباء ، وسرعان ما تقضم اليد التي تمتد لها بالخير ، ولن يتورع مفسدوها عن توجيه ضربات قاسية حتى للدول التي تأويهم أو تساندهم أو تتعاطف معهم متى صدرت فتاوى مرشديهم أو قُلْ مضللوهم بذلك ومتى كانت مصلحتهم في هذا التقلب ، فصديق اليوم عدو الغد متى أبدى اعتراضه عليهم أو تخليه عنهم ، ثم إنهم متى حلوا دارًا أو بلدة

اجتهدوا في أخونة أكبر قدر ممكن من أبنائها ورجالها والعناصر التي يتوقع أن تكون نافذة فيها يومًا ما ، ذلك أنهم ينتهجون منهج الاستعمار الذي رباهم في زرع ذيول وأتباع وعناصر لهم في كل مكان يحلون فيه.

٣- وإذا كنا نتحدث عن مخاطر إيوائهم في الخارج فإن التستر على عناصرهم المخربة في الداخل جريمة لا تغتفر ، والتستر على من ينتهجون العنف مسلكًا أو يدعون إليه منهم خيانة للدين والوطن.

ويجب على كل وطني غيور على وطنه أن يحتاط في تعامله وبخاصة في تأجير المساكن المفروشة ونحوها ، حتى لا يسهم أحد دون أن يقصد في إيواء العناصر الإرهابية أو الهاربة من العدالة ، وألا يمكن للعناصر الإرهابية من هذه الجماعة من أي عمل قيادي في أي مفصل من مفاصل الدولة القيادية ، لأنهم أينما حلوا لا يأتون بخير ، إذ إن قلوبهم السوداء قد انطوت على الفساد والإفساد وكره

المجتمع والشعور بالتميز عليه ، إذ يترسخ في أذهانهم ظلمًا وزورًا أنهم جماعة الله المختارة ، وكل من ليس معهم فهو عليهم أو خائن، مما يستدعي أقصى درجات اليقظة من هذه الجماعة الإرهابية وعناصرها الشريرة وحلفائها المغرضين.

حماية المجتمع من التطرف

كان ذلك هو موضوع المحاضرة التي ألقيتها بمجلس سمو الشيخ/ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبو ظبي ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة بدولة الإمارات العربية المتحدة الشقيقة ، وهذا الموضوع كان له الأولوية من بين موضوعات أخرى تم النقاش حولها للمحاضرة ، وذلك لما يمثله التطرف من خطر على الهوية الدينية ، وعلى الهوية الوطنية ، فمن ناحية الهوية الدينية ؛ فإن الجماعات الضالة المتطرفة قد حاولت اختطاف الخطاب الديني وتوظيفه أيدلوجيًّا لخدمة مطامعها ومطامع من يُمَوِّلها ويستخدمها لهدم دول المنطقة وتفتيت كيانها وتمزيق بنيانها ، ذلك أن أي أحد يسمع أن دينًا أو جماعةً تستبيح الذبح والحرق والتنكيل بالبشر ؛ لا يسعه إلا أن يكفر بهذه الجماعة وبما تدعيه من دين افتراء على الله ورسله وسائر كتبه المنزلة ،

وأما من جهة الوطن فهذه الجماعات المارقة لا تؤمن بوطن ولا بدولة وطنية ، بل إنها صُنِعَت لهدم الأوطان ، وليس بعيدًا عن أذهاننا ذلك القول المثير للاشمئزاز من الشخص وجماعته الذي قال محمد مهدي عاكف المرشد السابق للجماعة الإرهابية في حق مصر وغيرها من الأوطان التي لا يرونها سوى حفنة من التراب ، فالأرض في منظورهم لا تعد عرضا ولا تمثل شاغلا ولا همًّا ، في حين أن الإسلام أوجب الدفاع عن الأوطان وافتداءها بكل ما يملك بنوها من نفس ومال.

وكان السؤال الأول في المحاضرة ، هل نحن في حاجة إلى تفكيك الفكر المتطرف ، أم إلى تفكيك الجماعات المتطرفة ؟ والجواب الذي لا خلاف عليه هو أننا في حاجة إلى تفكيك الفكر المتطرف والجماعات المتطرفة معًا ، غير أن تفكيك الفكر يأتي في المقدمة ، ذلك أنك قد تفكك جماعة إرهابية أو متطرفة فتخرج عليك جماعة

أخرى أعتى وأشد ، غير أننا عندما ننجح في تفكيك الفكر المتطرف وكشف زيفه وزيغه وفساده وإفساده وأباطيله ، فإننا نكون أتينا على المشكلة من جذورها.

وفي سبيل ذلك لا بد أن نكشف وأن نعري هذه الجماعات المتطرفة ، وأن نبيّن عمالتها وخيانتها لدينها وأمتها ، وأن نبرز شهادات من استطاعوا الإفلات من جحيم هذه الجماعات الإرهابية الضالة ، وأن ما يعدون به الشباب كذبًا وزورًا من الحياة الرغدة هو محض كذب لا وجود له على أرض الواقع ، فمن يلتحق بهم مصيرهم التفخيخ والتفجير، وإن فكّر مجرد تفكير في الهروب من جحيم هذه الجماعات كان جزاؤه الذبح أو الحرق أو الموت سحلا.

كما يجب تفنيد أباطيلهم في استحلال الدماء والأموال والأعراض، والحكم على الناس بالكفر حتى يسوغوا لأنفسهم قتلهم ، واستباحة نسائهم وأموالهم ، وهو ما حذر منه الحق سبحانه وتعالى ، حيث يقول: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا

ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا " (النساء:٩٤) ، ذلك أن هذه الجماعات الضالة تجعل من تكفير المجتمع وسيلة لاستحلال الدماء والأموال والأعراض التي يسعون لاستباحتها لإشباع رغباتهم الدنيئة ، وفي هذا نؤكد أن تكفير المعيّن أي الحكم على شخص بالكفر أو الردّة لا يثبت إلا بحكم قضائي نهائي وبات لما يترتب على الحكم بالكفر من أمور خطيرة.

وكذلك دعوتهم الضالة إلى الجهاد ، مع أن ما يقومون به هو بغي وعدوان لا علاقة له بالجهاد ، وليس من الجهاد في شيء.

ومن ثمة يجب أن نبين أن الجهاد في سبيل الله (عز وجل) أوسع من أن يكون قتالا ، فهناك جهاد النفس بحملها على الطاعة وكفها عن المعصية ، والتزامهـا مكارم الأخلاق

من الصدق والأمانة والوفاء بالعهد وسائر الأخلاق الكريمة.

أما الجهاد الذي هو بمعنى القتال فإنما شُرّع للدفاع عن الوطن ، عن الدول أن تستباح ، وليس لآحاد الناس أو لحزب أو لجماعة أو لفصيل أو لقبيلة أن يعلن هذا الجهاد ، إنما هو حق لولي الأمر وفق من أناط به دستور كل دولة وأعطاه الحق في إعلان حالة الحرب والسلم ، سواء أعطاه الدستور لرئيس الدولة ، أم لمجلس أمنها القومي ، أم للرئيس بعد أخذ رأي برلمانها ، المهم أن قضية إعلان حالة الحرب ليست ملكا للأفراد أو الجماعات ، وإلا أصبح الأمر فوضى لا دولة ، وعدنا إلى حياة الجاهلية ، حيث يقول الشاعر:

لا يَصلُحُ الناسُ فَوضى لا سَراةَ لَهُم
وَلا سَـــراةَ إِذا جُهّـالُهُـــم سـادوا

والخلاصة ما أحوجنا إلى الفكر المستنير ، والفهم الصحيح للدين ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة ، واسترداد

الخطاب الديني ممن حاولوا اختطافه ، وكف وغل يد المتطرفين عن الدعوة والفتوى ، وإلى أن نواجه الجهل بالعلم ، والظلمات بالنور ، والباطل بالحق ، والفساد والتخريب بمزيد من البناء والتعمير ، وأن نعمل على ترسيخ الولاء للأوطان من جهة ، وترسيخ أسس المواطنة وفقه العيش المشترك على أسس إنسانية خالصة من جهة أخرى ، وأن نسعى معًا وجميعًا لما فيه أمن وسلام الإنسانية جمعاء ، وأن ندرك أن العالم كله في سفينة واحدة ، ولن ينجو منه أحد دون الآخر ، وأن أي خرق في السفينة يمكن أن يهلك أهلها جميعا ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا ؛ كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِن الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ

وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا" (رواه البخاري).

وقفـــــة مع النـــفس

هل يستطيع كل واحد منا أن يقف مع نفسه للحظات ، ليسأل نفسه ماذا قدم لوطنه ؟ وماذا قدم للقاء ربه؟ وما آخر الطريق الذي يريد الوصول إليه ؟ وماذا عن راحة ضميره في كل ما قدم ويقدم ؟ لقد سأل رجل النبي (صلى الله عليه وسلم) متى الساعة ؟ فقال له (صلى الله عليه وسلم) : "ماذا أعددت لها ؟ " فقال الرجل: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاَةٍ، وَلاَ صَوْمٍ، وَلاَ صَدَقَةٍ ، وَلكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسولَهُ ، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) : " أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ"(متفق عليه) ، وهل سيقول الإنسان – وعن قناعة تامة– لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لسلكت – وعن راحة ضمير– الطريق نفسه ، أو أنه يتمنى أن لو كان قد سلك طريقًا آخر ، وإذا كان العقلاء يؤكدون أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل ، فيمكن لكل عاقل أن يثوب إلى طريق الرشاد بلا تردد أو توجس ما دام يوقن أنه سبيل

الرشاد ، فاليوم سبيل العمل ، وغدًا يوم الحساب حيث يقال: " وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ " (الصافات :٢٤) ، فالخلق جميعًا بين فريقين لا ثالث لهما " فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ " (الأعراف :٣٠) ، فريق في الجنة وآخر في السعير ، " فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ " (هود : ١٠٦-١٠٨) ، يذكرنا القرآن الكريم بحال كلا الفريقين ، فيقول الحق سبحانه :" إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ " (فصلت ٣٠-٣٢) .

فالملائكة هنا لا تتنزل على الأنبياء والمرسلين فحسب ، إنما تتنزل على عباد الله الصالحين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، لكن متى تتنزل ؟ وكيف تتنزل ؟ أما الكيفية فعلمها مفوض إلى رب السموات والأرض رب العرش العظيم ، ولكن متى تتنزل ؟ فأكثر أهل العلم على أنها تنزل على المؤمن ساعة الاحتضار لتطمئنه قائلة : لا تخف يا عبد الله ولا تحزن وأبشر بالجنة التي كنت توعد ،" نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ " (فصلت :٣١) ، أما يوم المحشر فكما تحدث القرآن الكريم في أواخر سورة الأنبياء " وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ " (الأنبياء :١٠٣) ، وأما في الجنة فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب " سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ " (الرعد :٢٤) ، " كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأيَّامِ الْخَالِيَةِ "(الحاقة :٢٤) " وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ " (فصلت :٣١) ، " كُلَّمَا

رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (البقرة :٢٥)" وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً " (الإنسان :١٩-٢٠) أعد الله عز وجل لهم فيها "مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " ، ونزع الله عز وجل من بينهم الغل والحسد " وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ" (الحجر :٤٧) .

أما على الجانب الآخر والعياذ بالله فهناك من شُغل عن الله (عز وجل) بماله ، أو بجاهه ، أو بسلطانه ، أو بتجارته ، أو بجماعته ، وفصيله ، وهناك " يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ " (عبس : ٣٤-٣٧) " يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ " (الشعراء ٨٨ - ٨٩) " يَوْماً لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ

وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ" (لقمان : ٣٣) يومها يندم الخاسرون حيث لا ينفع الندم ، يقول كل من يأخذ كتابه بشماله " يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ "(الحاقة : ٢٥-٣٢) ، وسيقال له عند انصراف آخر قدم مودع : يابن آدم جاءوا ودفنوك ، وفي التراب وضعوك ، وعادوا وتركوك ، ولو ظلوا معك ما نفعوك ، ولم يبق لك إلا أنا وأنا الحي الذي لا يموت .

فنحن بين سبيلين بيَّنَهُما الحق سبحانه وتعالى في مواضع عديدة من كتابه تعالى ، منها قوله تعالى : " مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً " (الإسراء ١٨-

١٩) ، فالآخرة تحتاج إلى سعي هو سعيها الموصول إلى مرضاة الله فيها ، سعي المؤمن بها المعدُّ لها ، وهذا هو السعي المشكور ، أما الفريق الآخر فحتفه جهنم يلقاها مذمومًا مدحورًا ، ويقول سبحانه : " فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى " (الليل: ٥-١٠)، فالعاقل من يعمل لدنياه كأنما يعيش أبدًا ويعمل لآخرته كأنه يموت غدًا ، من منطلق قوله تعالى :"... وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ..." (القصص :٧٧).

محتويات الكتاب

م	الموضوع	الصفحة
١.	مقدمة	٣
٢.	الإسلام يتحدث عن نفسه	٦
٣.	النص المقدس والفكر البشري	١٣
٤.	الحـق والـواجـب	١٨
٥.	الخوف من الله	٢٣
٦.	مفتـاح السعـادة	٢٩
٧.	الأرض السبخة والأشجار المثمرة	٣٥
٨.	نقد الفكر الإنساني	٣٩
٩.	حقيقة الشكر	٤٦
١٠.	تعظيم ثواب الصدقة	٥٣
١١.	أدب الحياة الخاصة	٥٩

١٢.	أشخاص لا يعرفون الهدم وآخرون لا يعرفون البناء	٦٣
١٣.	دعاة الإحباط ودعاة الأمل	٦٩
١٤.	اليتيم بين كافله وجاحده	٧٤
١٥.	فائض الوقت وفاقده	٧٩
١٦.	الإيمان والمؤمنون	٨٤
١٧.	خطورة الصمت على المتطفلين	٩١
١٨.	حبس الحقـــوق	٩٦
١٩.	الدماء التي لا تجف	١٠٢
٢٠.	الشمس التي لا تغيب	١٠٨
٢١.	سلوك وسلوك	١١٣
٢٢.	الفقه والفهم	١١٩
٢٣.	التحـذير من الغفلـة	١٢٤

٢٤.	بين الصلاح والإصلاح	١٢٩
٢٥.	العلاقة بين الرزق والأمن	١٣٦
٢٦.	المصريون يقرأون	١٤١
٢٧.	لله وللتاريخ	١٤٥
٢٨.	نعمة الأمن والاستقرار	١٥٠
٢٩.	الثقافة والرياضة	١٥٥
٣٠.	مواقع الفتنة والضرار	١٥٩
٣١.	مخاطر إيواء الإخوان	١٦٥
٣٢.	حماية المجتمع من التطرف	١٧٢
٣٣.	وقفة مع النفس	١٧٩